الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر 2

معهد الاثار

مطوية خاصة بمقياس

العمارة و الفنون
في بلاد المغرب القديم
خلال الفترة الليبية البونية

موجّهة لطلبة السّنة الثانية ليسانس

من اعداد الأستاذة حكيمة طواهري

السنة الجامعية 2022- 2023

العمارة و الفنون في بلاد المغرب القديم

خلال الفترة الليبية البونية

البرنامج:

مقدمة :

- (المفردات الرئيسية للمقرر (مصطلحات)، مراجع ...)
- سكان شمال افريقيا: الرقعة الجغرافية المدروسة، سكانها، تاريخها، التأثير و التّأثر....)

1-المستوطنات الفينيقية و البونية و انتشارها

أ- الفينقيون

ب- التوسع الفينيقي

2-**المدينة خلال الفترة الليبية البونية** (تخطيط و توزيع)

أ- عموميات

ب- المعالم الأثرية لمدينة قرطاجة

ت- المعالم الأثرية لمدينة كركوان

ث- مدينتي كرتا و سيقا، العواصم الملكية النوميدية

3-العمران و السكن خلال الفترة الليبية البونية

4-**الموانئ** (البحرية، النهرية، الاصطناعية)

5-العمارة الدينية (المعابد)

أ- المعابد خلال الفترة الليبية البونية

ب- الالهة خلال الفترة الليبية البونية

ت- القرابين و الاضحية البشرية

6-العمارة الجنائزية

أ- القبور الليبية

ب- القبور البونية

ت- طرق الدّفن و الأثاث الجنائزي

ث- الأضرحة الجنائزية

7-الفنون:

أ – الأنصاب (النذرية، الجنائزية، موضوعاتها التصويرية، تقنيات النحت)

ب – الفخار (المنزلي، الجنائزي، التجاري ...)

ج – الحلي و الزجاج

د – الطلاسم السحرية (الأقنعة، التمائم، الجانب التقني فيها)

العمارة و الفنون في بلاد المغرب القديم في الفترة الليبية البونية

سكان شمال افريقيا

مقدمة:

قبل الحديث عن **العمارة و الفنون** و التطرّق الى مظاهر الحضارة بصفة عامة في شمال افريقيا خلال الفترة الليبية البونية، ووصول الأجانب الى هذه الأراضي، فلابدّ من التعرّف على **الموقع الجغرافي** و **الشخصية المحلية** التي ساهمت في صنع هذه الحضارة واندماجها فيما بعد مع الشخصيات الأجنبية بتأثيرها فيها و تأثرها بها .

الموقع الجغرافي (المغرب القديم):

يقع بلاد المغرب شمال القارة الافريقية، و هي منطقة جغرافية تضمّ حاليا كلّ من ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى و موريطانيا، دون أن ننسى الصحراء الغربية.

تشكل بلاد المغرب وحدة طبيعية تطل على شريط ساحلي طويل على حوض البحر المتوسط الكثير الحركة التي تؤدي الى أحداث تاريخية و حضارية جدّ هامة، و الكثير الحيوية التي أعطتها له الكثافة البشرية لهذا الاقليم.

فحوض البحر الأبيض المتوسط هو قلب العالم القديم، أي منبع أو منشأ الحضارات القديمة، بحيث أنّ المغرب الذي يقع في هذا الاقليم الحيوي أثّر و تأثّر بحضارات عدّة، مصالحها مرتبطة بالبحر.

هذا الموقع يجعل المغرب ينفتح على أربع جهات، فمن **الشمال** هناك الحضارات الأوروبية منها الايطالية و الايبيرية (اسبانيا) و كذا الحركة التجارية للبحر الأبيض المتوسط. من **الجنوب**، الصحراء الكبرى و افريقيا بكل أبعادها خاصة الأبعاد العقائدية. من **الشرق**، المشرق الذي يعتبر منبع الحضارات القديمة و تمهيد الديانات. أما من **الغرب** فيستفيد من جميع ثروات المحيط الأطلسي.

التسمية – المنطقة:

تسمية **المغرب القديم**، استعملت من طرف الباحثين تسهيلا لدراسة هذه المنطقة خلال عصورها التاريخية القديمة. و الجدير بالذكر أنّ العلامة ابن خلدون في كتابه العبر و ديوان المبتدأ و الخبر، قد ذكر هذه التسمية عند حديثه عن هذا الاقليم.

نقول مغرب اسلامي نسبة الى المشرق الاسلامي لكن قبل ذلك كانت المنطقة تدعى ليبيا حسب المصادر القديمة.

التسمية – السكان:

عرف **سكان المغرب القديم** بعدة تسميات:

أطلقت المصادر الفرعونية، من نصوص هيروغليفية و منحوتات و رسوم، على هذا الشعب، أسماء عديدة حسب أسماء المجموعات البشرية التي اتصلوا بها، منها **التحنو** أو **التمحو** ثمّ **المشواش** أو **الأمازيغ**. كما أنهم استعملوا كلمة **ريبو** أو **ليبو** للدلالة على المجموعات البشرية التي كانت تعمر المناطق الواقعة غرب مصر و الممتدّة الى المحيط الأطلسي.

البربر :

- لفظ يعني عند كل من الإغريق والرومان كل خارج عن تقاليد حضارتهم.
- الكثير من الكتاب العرب ذكروا أن البربر هم أبناء برّ (Berr) ابن مازيغ ابن كنعان ابن حام ابن نوح عليه السلام.

الأمازيغ : تسمية لسكان هذه المنطقة، نسبة إلى جدهم مازيغ، وتعني الرجال الأحرار.

المصادر التي ذكرت سكان شمال افريقيا:

- **العصور الحجرية القديمة و الحديثة:**

انسان ما قبل التاريخ (نتائج الحفريات اضافة الى النحت و الرسم الجداري):

- **1.8 مليون سنة** : إنسان عين الحنش (الشرق الجزائري) (Homo habilis)
- **ستة مائة ألف سنة (– 600 000)**: إنسان تغنفين (الغرب الجزائري) (Atlanthrope) (erectus Homo)
- **عشرة آلاف ق م (10 000 av. J.–C.)**: رسومات و نحت جدارية في التاسيلي و الهقار

(Peintures et gravures rupestres)

- اكتشف الأثريون على رأسهم محمد سحنوني في منطقة عين بوشريط بسطيف، أدوات حجرية تعود الى **2,4 مليون سنة**، أكثر قدما من الاكتشافات السابقة.

- **الرحلات:**

من بين المصادر التي أشارت إلى تاريخ المغرب القديم، نجد **الرحلات** التي جاب أصحابها شواطئ بلاد المغرب منطلقين من الشرق إلى الغرب أو العكس، و قد قام أصحابها بوصف الأماكن التي كانوا بها و كذا القبائل و الحيوانات و حتى الثروة النباتية الموجودة ببلاد المغرب القديم.

من بين هذه الرحلات نجد :

رحلة حنون القرطاجي

الذي انطلق وصفه من قرطاجة في حوالي القرن الخامس ق م، وصلت أخبار هذه الرحلة عن طريق ترجمتها الإغريقية. و قد اشترك فيها الليبيون إلى جانب القرطاجيين .

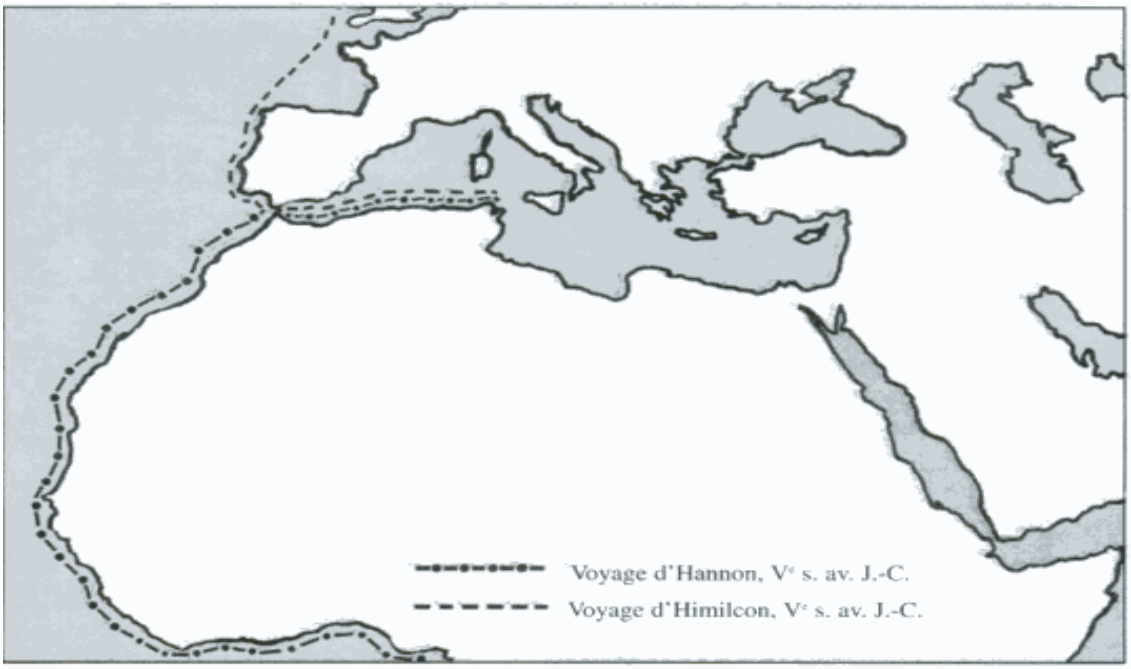

Périples d'Hannon et d'Himilcon

مصادر أخرى:

المصادر **الفرعُونية** و **الإغريقية** و **اللاتينية** بها مادة هامة حول الليبيين.

- ***الوثائق الفرعونية القديمة:***

هناك لوحات كثيرة و رسومات عديدة تحدّثت عن سكان شمال افريقيا و هناك تماثيل مرسومة تمثّل الحروب التي خاضها ملوك الأسر المصرية مع الليبيين.

فالمصريون القدماء عرّفوا الشعوب التي تقطن إلى الغرب من مصر **بالليبيين** أو **اللوبيين** الذين يسكنون **قبيلة ليبو** و قد ورد ذكر هذه القبيلة لأوّل مرّة في النصوص المصرية التي تنسب إلى الملك **مرنبتاح** من الأسرة التاسعة عشر (القرن 13 ق م). و من اسم هذه القبيلة اشتقّ اسم ليبيا و ليبيون.

من بين هذه اللّوحات و الرسومات نجد لوحة نعرمر تبيّن لنا انتصارات الفرعون على اللوبيين و جرى ذلك في (3300 ق م). يبدون في الرسوم المنقوشة على الحجر مسلّحين بالسّهام.

لوحة نعرمر

هناك الرسم المتواجد فوق قبر **ستي الأوّل** (1306– 1290 ق م)

ملوك ليبيون من قبيلة تميحو (Temehou) لباسهم من الجلود الملونة ومن جلود الحيوانات المتوحشة مثل الفهد (guépards) على رؤوسهم ريشتين و شعرهم مضفور. أجسامهم مليئة بالأوشام التي نجدها حتى في الوقت الحالي عند النساء المسنات في شمال إفريقيا.
(Rossellini (I.), Monumenti dell'Egitto e della Nubia, pl. CLVI, 1832)

ليبيون حسب الرسم المتواجد فوق قبر ستي الأوّل (مصر القديمة)

- ***<u>المصادر الإغريقية و الرومانية و البيزنطية:</u>***

معظم ما تركه الكتاب القدماء من أخبار، كان خليط بين الحقائق و الأساطير. كان على رأس هؤلاء الكتاب : **هيرودوت** (ق 5 ق م)، **سيلاكس** (ق 4 ق م)، **ساليست** (ق 1 ق م).

استرابون ، ديودوروس الصقيلي ، بلين الأكبر (ق 1 م)، **بطلميوس الجغرافي** (ق 2 م)، **بروكبيوس القيصري ، كوريبوس** (ق 6 م).

سكان شمال افريقيا من خلال الكتاب القدامى:

حسب **هيرودوت** هناك في شمال إفريقيا :

- ليبيون **<u>رحالة</u>** في ليبيا الشرقية على أراضي واسعة و رملية،

- و ليبيون **<u>مزارعون</u>** يسكنون منازل و يسمون بالمڤزيس.

في رأيه فان تسمية **ليبيا القديمة** تشمل المنطقة الممتدّة ما بين مصر و رأس سولوبيس بالمغرب الأقصى، يسكنها **الليبيون** و **الإغريق** و **القرطاجيون**.

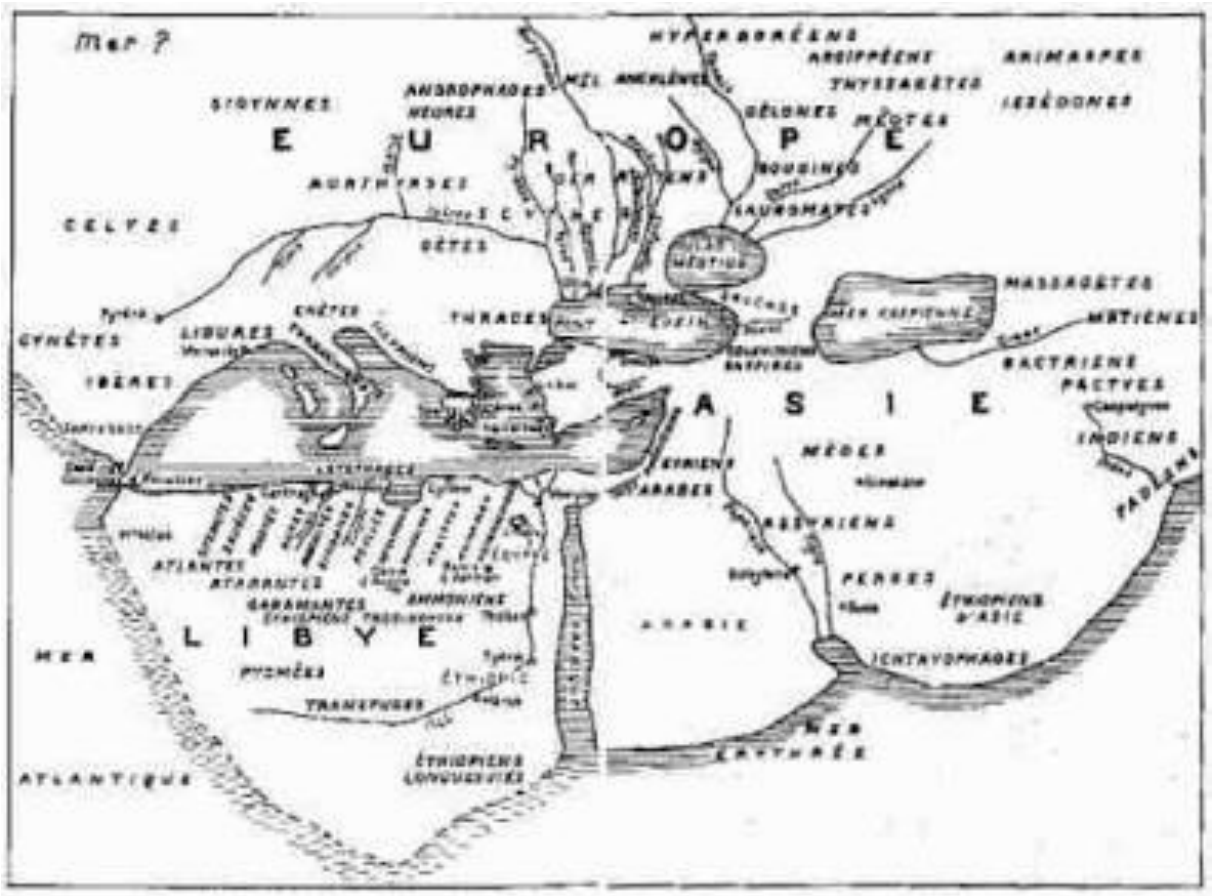

أما **ساليست** فيقول أن أوّل سكان شمال إفريقيا هم الجيتول و الليبيون.

و قال عنهم أنهم:

أناس خشنين و بربر يأكلون لحم الوحوش المفترسة و يأكلون الحشيش.

أشارت النصوص الأدبية الكلاسيكية الإغريقية و اللاتينية إلى تواجد ممالك على الرقعة الجغرافية المجاورة لقرطاجة، و ذلك منذ القرن الثالث ق.م و هي:

مملكة **الماسيل** (في الشرق) و عاصمتها **سيرتا** و مملكة **الماسيسيل** (في الغرب) و عاصمتها **سيغا** *قرب بني صاف*".

في نهاية القرن الثالث ق. م أصبحت هاتان المملكتان تعرفان باسم نوميديا الموحدة.

أما غرب هتان الأخيرتان نجد مملكة **المور**.

خريطة الممالك النوميدية في 150 ق.م

لم تحظى الشواهد الحضرية للحياة اليومية للنوميد باهتمام كبير ضمن الدراسات القديمة، رغم أنّ النصوص الأدبية الاغريقية و اللاتينية تذكر عدة مدن و عواصم مهمة.

إن **التنقيبات الأثرية** أسفرت عن بقايا لمباني معمارية و زخارف هندسية تبيّن مدى ثراء التراث الليبي النوميدي و تأثّره بالحضارات المعاصرة له (المصرية، الاغريقية و البونية) و يظهر ذلك في العمارة الرسمية كالقصور و الأضرحة ...الخ.

كما سمحت لنا الاكتشافات الأثرية التي أجريت بالمواقع والأضرحة و القبور، بالتعرف أكثر على هذا التراث، ونوعية السكن الحضري، كما منحتنا معرفة جانب من جوانب الحياة اليومية لهده الفترة، (كالأوانـي *المختلفة و الحلـي*... الخ).

العملة النوميدية:

يعد الملك **سيفاقس** أول ملك نوميدي ضرب عملة باسمه ثم يليه الملك **مسنيسا** ثم الملوك الذين حكموا من بعدهم . كانت عملة هؤلاء الملوك كثيرة ضربت من معدن البرونز و الرصاص، و كتبوا عليها أسمائهم باللغة البونية. أما عملة **يوبا الاول**, فاختلفت عن العملة النوميدية الاولى باستعماله لمعدن الفضة و الذهب وبكتابته عليها بالبونية و اللاتينية. وظهر نوع آخرا من العملة، ضربت باسم **العواصم** وبعض **المدن** الكبرى. و بذلك يمكننا القول أن العملة النوميدية تنقسم إلى عملة الملوك و عملة المدن.

عملة الملوك:

لقد ضرب ملوك نوميدية العملة باسمهم على معدن البرونز و الرصاص، بظهور وجه الملك عليها، بينما على الظهر فيظهر عليها إما الحصان راكضا يمينا أو شمالا، أو الفيل، مع رموز أخرى مختلفة مثل (سنابل القمح، سعف النخيل، الصولجان، صور لمباني، قرص الشمس وهلال ...الخ). أما عملة يوبا الأول، كما ذكرنا سالفا، فاختلفت عن العملة الأولى بإدخال معدن الفضة و الذهب كمادة للضرب و أدخل الكتابة اللاتينية الي جانب الكتابة البونية.

عملة المدن:

العواصم و المدن الكبرى النوميدية ضربت العملة باسمها مثل **سيرتا، سيقا** و **هيبون**. ضربت هذه العملة في أغلب الأحيان من معدن البرونز و الرصاص ويظهر علي وجه أغلبها رأس الإلهة حامية المدينة المعروفة بإلهة (تيشيّ) (Tychée) أما على الظهر تجسدت رموز مختلفة لثروات المدينة أو ما يجاورها، كسنابل القمح و عناقيد العنب و كذا سعف النخيل وتختلف عملة مدينة سيرتا عن العملات الاخرى بظهور بوابة المدينة على ظهرها. و يكتب اسم المدينة إما على الوجه أو على ظهر العملة بالحروف البونية وأضاف يوبا الأول الكتابة اللاتينية عليها.

العملة التي ضربت باسم الملوك و باسم المدن و العواصم بشمال إفريقيا سمحت لنا بالتعرف على الحياة الاقتصادية.

كما أن النقوش الليبية و البونية التي اكتشفت بهذه المنطقة هي بدورها سمحت لنا معرفة وفهم النظام الديني و السياسي و الاجتماعي الذي كان سائدا لدى المجتمع النوميدي (كالآلهة و المناصب السياسية، *و هيئة الحرفيين*).

إن أهم ما يميّز هذه الحقبة هي قوة الروابط والمبادلات التي قامت بين الطرفين **النوميدي والبوني** وعلى جميع المستويات من مظاهر الحياة، سواء في الروابط الاجتماعية أو في اللغة والعقيدة أوالفن والعمارة.

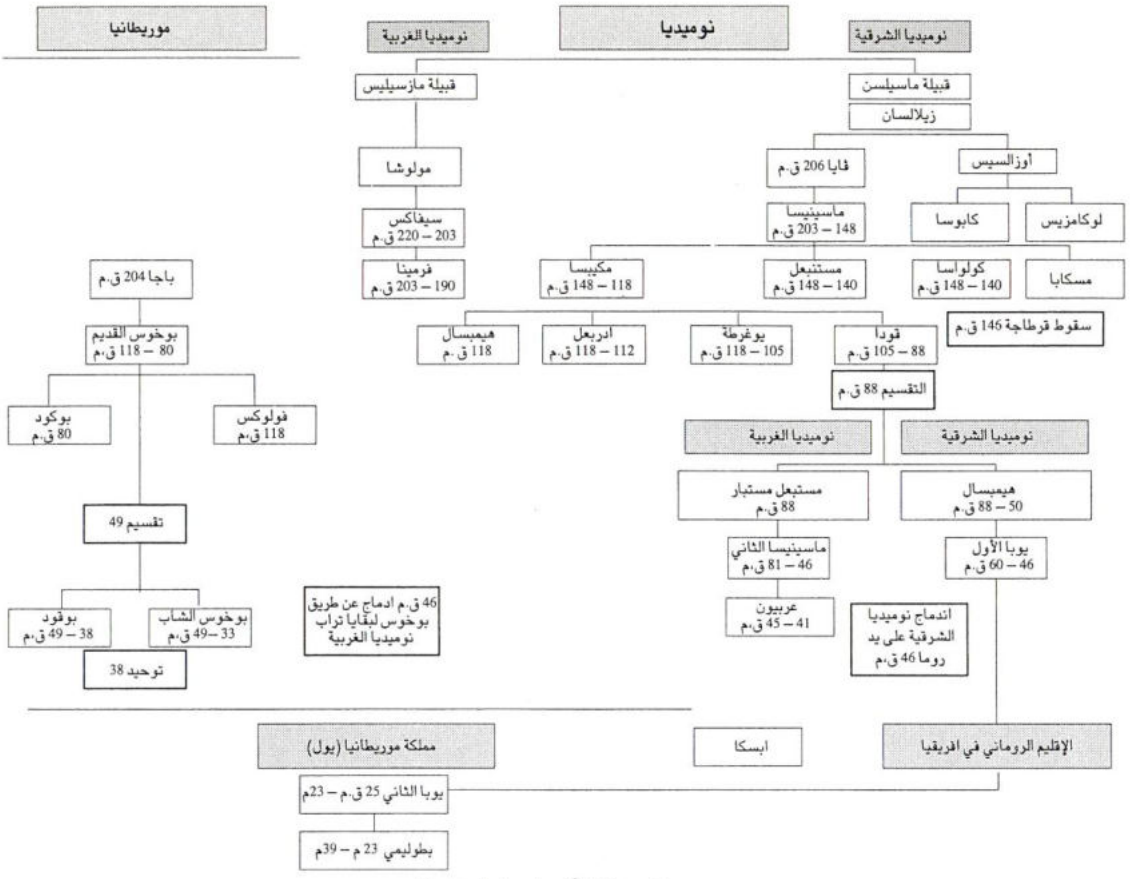

شجرة الأنساب لملوك البربر

1- المستوطنات الفينيقيّة و البونيّة و انتشارها

I – الفينيقيون :

في أوائل القرن 12 ق.م بدأ يصل غربي البحر المتوسط **أوائل البحارة الفينيقيين** بهدف التجارة وخاصة مع منطقة تارشيش المتواجدة جنوب غربي إسبانيا والغنية بالمعادن من قصدير ونحاس وفضة، رابطين بذلك شرقي حوض المتوسّط بغربيه بطريق بحري تجاري ستدوم فيه الاتّصالات فيما بعد قرونا متعدّدة.

الفينيقيون:

سكن الفينيقيون سواحل بلاد الشام قبل الميلاد. كان من المعروف كون الفينيقي مسالم غير محب للحرب إلا للدفاع عن النفس وكان يستخدم فنونه و تجارته لشراء السلام مع الدول المجاورة.

اشتهروا منذ عهودهم الباكرة بأنّهم تجّار ماهرون استطاعوا أن ينفذوا إلى أجزاء مختلفة من العالم بواسطة التّجارة و المبادلات السّلمية دون أن يثيروا الشّكوك حولهم، بحيث استولوا على كلّ تجارة البحر المتوسّط.

الحضارة الفينيقية:

كانت الحضارة الفينيقية عبارة عن مدن منتشرة على الشريط الساحلي الشرقي للبحر المتوسط، لها نفس التكوين و العادات و التقاليد و كانت مرتبطة ببعضها فكريا و عرقيا، منها أرواد،

جبيل، صيدا، صور، أوغاريت، الأسكندرون، عكا...الخ . كان السّكان يتّبعون سياسة (المدينة الدّولة)، وكانت هذه المدن متحالفة فيما بينها و متّحدة في الحرب و متنافرة في السّلم.

الأكثر شهرة منها هي:

- جبيل (بيبلوس) :

التي اشتهرت بمينائها الهام الذي كانت تصدّر منه أخشاب الأرز إلى كثير من الدّول.

- صيدا:

التي تتميّز بكثرة السّمك، تزعّمت المدن الفينيقية في الفترة الممتدّة من القرن الرابع عشر ق م حتّى بداية القرن الثّاني عشر ق م، و استطاع بحارتها التّجار أن يكوّنوا علاقات تجارية باكرة مع منطقة الدلتا في مصر، و هناك أسّسوا مراكز لهم في منف.

- صور:

التّي تزعّمت المدن الفينيقية في الفترة الممتدّة من القرن 10 ق م حتّى القرن 5 ق م. لعبت دور حضاري و هو قدرة سكانها على ربط العلاقات الباكرة بين شرقي البحر المتوسّط و غربه، و اكتشاف المحيط الأطلسي كذلك نقل الكتابة الأبجدية إلى الأمم التي كانت تجارهم.

ترجع نشأة هذه المدن الفينيقية إلى ألوف السّنين على الساحل المعروف في يومنا الحالي بالساحل السوري واللبناني والفلسطيني.

بلغت فينيقيا و المدن التّابعة لها ذروة مجدها في القرن 13 ق م، و بلغت تجارتها درجة عظيمة.

التّسمية:

يُعرف الفينيقيون في العهد القديم أحيانًا بالكنعانيين وكثيرًا ما يُشار إليهم **بالصيداويين** نسبة لمدينة صيدا الفينيقية.

الفينيقيون، هو اسم أطلقه اليونان على هذا الشّعب الذي كان يسمّي نفسه بالكنعانيين.

اشتق اسم **(فينيقيون)** من كلمة فونيكس تعني اللون الأرجواني، لاشتهارهم بتجارة الثّياب التّي تحمل هذه الصّباغة. وهو الصّباغ الأحمر الضّارب إلى البنفسجي المستخرج من أصداف المورکس.

أما تسمية (**كنعانيون**)، فقد أطلقوا عل أنفسهم هذه التّسمية، و سمّوا بلادهم تسمية كنعان وهي مشتقّة من الفعل "كنع " الّذي يعني في اللّغة السّامية(الفينيقية) انخفض، و يقصد به هنا الأرض المنخفضة بالنّسبة لجبال طوروس و هضاب أرمينية في الشمال، و بلاد كنعان هنا تعني كامل بلاد الشّام القريبة من البحر، وبالتّالي فالكنعانيون هم سكان الأراضي المنخفضة.

الكتابة:

تعد اختراع الأبجدية من أعظم ما قدمته الحضارة الفينيقية للبشرية، يعود ظهور هذه الكتابة المحلّية الفينيقية إلى نهاية الألف الثاني ق م أي حوالي 1000 ق م، و قد تألفت من 22 حرفا، سميت أيضا بأبجدية جبيل. تختلف عن كل الكتابات التّي سبقتها كالهيروغليفية و المسمارية، بحيث استعان الفينيقيون بهذه الكتابة السّومرية و المصرية القديمة ثم طوروها مع مرور الزمن . سبقوا كل شعوب العالم في اختراع أوّل أبجدية من نوعها، تناقلتها فيما بعد معظم شعوب العالم.

في البداية، كانت تكتب هذه الحروف على ألواح من الطين أو الفخار ثم فيما بعد، كتبت على أوراق البردى المصرية.

لقد كتب الفينيقيون هذه الحروف من اليمين إلى الشمال (مثل العربية) و نشروها في جميع بلاد العالم شرقا و غربا؛ ساهم في نشرها قدموس الصوري.

اللّغة الفينيقية:

ليس لدينا مادة كثيرة عن اللّغة الفينيقية و ذلك لضياع التّراث اللّغوي الفينيقي على يدّ الغزاة الأجانب، و أنّ الفينيقيون لم يسجّلوا لنا آدابهم و أفكارهم على مواد مقاومة للفَنَاء، مثل الكتابة المسمارية على اللّوحات الطّينية. لكن بقيت فقط بعض ما سُجّل على الصّخور و اللّوحات المعدنية. كما أنّ زمن ازدهارهم لم يدم طويلاً يسمح لهم باللإلتفات إلى تسجيل أدبهم وتاريخهم.

الصّناعة و التّجارة :

تركز عمل الفينيقيين على البحر فعملوا بصيد السمك و الإسفنج و الملاحة و صناعة السفن.

كما أنهم برعوا في صناعات عديدة منها صناعة العاج و الزجاج و الأقمشة الأرجوانية اللّون و الزهريات الحادة القعر و الفخاريات.

كان الفينيقيون يقلدون الصناعة المصرية و الكريتية و الميسينية مما مكنهم من بلوغ منزلة عظيمة في الصناعة و الفن.

أما بالنسبة للتجارة في فينيقيا، فقد بلغت أعلى درجاتها و تنوعت الأغراض التي تاجروا فيها فكان منها الصباغ الأرجواني و الأقمشة، الزجاج، المعادن، الفخار، النبيذ، الأرز، الخشب...إلخ، كل هذه الأشياء كانوا يتبادلونها مع اليونان، إيطاليا، إسبانيا، و الجزر المتوسطية. كما أنهم خاطروا بالإبحار إلى أبعد من ذلك حتى وصلوا الرأس الأخضر في بريطانيا.

الأصباغ الأرجوانية:

كان الفينيقيون أول من اكتشف اللّون الأرجواني فاستخرجوه من أصداف المريق (الموريكس) و هي نوع من المحار وجد بالقرب من الشواطئ الفينيقية.

أدخل الفينيقيون الصّباغ الأرجواني على أقمشتهم، بحيث تستخدم لتلوين المنسوجات الصوفية و الكتّانية بألوان زاهية، و بهذا اشتهروا بصناعة الأقمشة الأرجوانية اللّون.

صناعة السفن:

فينيقيا غنيّة جدا بالخشب يوجّه للتّصدير و بناء السّفن.

كانت السّفن الفينيقية عبارة عن مراكب شراعية تتألف من سارية واحدة، شراع مربع و مجاديف يدوية. اعتمد عليها الفينيقيون في تجارتهم و أسفارهم و تبادل صناعاتهم مع الدّول الأخرى المجاورة لها و البعيدة عنها.

استطاع الفينيقيون بواسطة الملاحة البحرية أن يربطوا بين أجزاء مختلفة من العالم القديم. و الشيء الذي ساعدهم في ذلك هي بحريتهم التي اشتهروا بها وصنعوا سفنهم من مادّة الخشب التي كانت متوفّرة جدًا في موطنهم و كانت المصدر الرّئيسي لبناء سفنهم التي نقلتهم إلى معظم أجزاء العالم.

استقرّ قسم من هؤلاء الفينيقيين التجار على الشاطئ الإفريقي ليؤسسوا سلسلة من المحطات التي كان هدفها التجارة والتي سوف تتطور خلال القرون الأولى من الألف الأول(ق.م) إلى مدن متطورة بحيث ستصبح فيها مدينة قرطاجة الأهم والأقوى على مستوى الحوض الغربي للمتوسط.

هذه المحطات ستجد نفسها أمام السُّكان المحليين (الليبيين) حيث أن الاتصال والاحتكاك والمبادلات التجارية ستؤدي بالضرورة إلى نشوء الأسواق فيها، وستجلب السكان لهذه المحطات، وحضارة هؤلاء الفينيقيين ستجذبهم كثقافة جديدة تنفتح أمامهم. ومع هذه الاحتكاكات التي ستدوم مدة طويلة بين الشخصية البربرية الإفريقية والفينيقية الشرقية سوف تتولد الشخصية الحضارية البونية.

المستوطنات الفينيقيّة و البونيّة و انتشارها-2

II- التّوسّع الفينيقي :

مقدّمة:

اندفع التّجار و الملاّحون الفينيقيون يجوبون البحر الأبيض المتوسّط بحوضيه الشّرقي و الغربي بحثًا عن **الأسواق التّجارية**، و قد لَفَتَ انتباههم توفّر خامات الفضّة والنّحاس و الرّصاص في شبه جزيرة أيبيريا، و أقصى الغرب ببلاد المغرب، لذلك نراهم يُؤسّسون **محطّات تجارية باكرة**، مثل **قادس** و **ليكسوس** و **أُوتيكا** لتكون نقطة اتّصال بينهم و بين السّكان المحلّيين. و قد آلت هذه المحطّات فيما بعد إلى مستوطنات متقدّمة على المحيط الأطلسي، بلاد المغرب و غربي المتوسّط.

1 – المراكز التّجارية الفينيقية:

هي مراسي أسّست في عدّة نقط من سواحل البحر الأبيض المتوسّط قصد تنظيم التّبادل التّجاري بين الفينيقيين و الشّعوب المُتاجر معها. كما قامت تلك المراسي بدور استصلاح السّفن و تموينها. هذه المراكز التّجارية البسيطة التي كان يلتقي فيها التُّجار الفينيقيون و السّكان المحلّيون تطوّرت و تحوّلت إلى مستوطنات فينيقية ثابتة في بلاد المغرب و غربي المتوسّط، عندما توفّرت لها الشّروط الملائمة.

2 – أسباب الهجرة:

1 – خلو غربي المتوسّط خلال الألف الثّاني (ق م) من الحروب و عدم الاستقرار و التّنافس بين الإمبراطوريات الذي يسود في شرقه حينذاك.

2 – إقبال سكان غربي المتوسّط على اقتناء البضائع التي كان يأتي بها التّجار الفينيقيون من شرقي المتوسّط و ذلك راجع إلى تأخّرهم صناعياً.

3 – توفّر المعادن الثّمينة في غربي المتوسّط، لاسيما في شبه جزيرة أيبيريا غرب إفريقيا و جهل السّكان المحليين لتعدين هذه المعادن في نفس المكان.

4 – كان البحر الأبيض المتوسّط خالياً من كل الوسطاء التجاريين فيما عدا التّجار الفينيقيين وبذلك استغلوا وساطتهم التجارية بين شرقي المتوسّط و غربه أي بين شعوب متقدّمة صناعياً و أخرى متخلّفة لا تحسن إلا الاستهلاك لها ثروة معدنية كبيرة، و على هذا الأساس كانت " قادس" هي الهدف المقصود ثمّ تلتها فيما بعد المستوطنات الأخرى.

5 – الازدياد الدّيمغرافي و قلّة الموارد الغذائية التي أصبحت تواجهها مدن السّاحل الفينيقي خاصة بعد الحروب التي كانت تشبّ من حين لأخر داخل بلاد الكنعانيين، و التي من نتائجها الهجرة من الدّاخل إلى الشريط الفينيقي الساحلي الذي كانت موارده الزّراعية محدودة.

6 – ازدياد مخاوف الفينيقيين من أطماع الدولة الأشورية النّاشئة في شمال بلاد ما بين النّهرين، و التي كانت تهدف إلى تأسيس إمبراطورية تعمّ المنطقة و يكون لها منفذ على البحر المتوسّط.

هذه المخاوف أدّت بالفينيقيين إلى تأسيس مستوطنات بعيدة و في مناطق خالية من كل الصّراعات ، و بذلك اختاروا غرب البحر المتوسّط.

3 – بداية الاستيطان:

الغرض من تأسيس الفينيقيين لمستوطنتي قادس و ليكسوس على السّاحل الأطلسي و جنوب أعمدة هرقل[1] ، لم يكن فقط لأغراض اقتصادية، بل كان الهدف من وراء ذلك مواصلة الرّحلات الاستكشافية عبر المحيط الأطلسي. و استعانوا بليكسوس للوصول إلى سواحل غربي إفريقيا الاستوائية بقصد الحصول على الذّهب و جلود الحيوانات.

ليس هناك تاريخ محدّد لبداية الاستيطان في غربي المتوسّط، هناك من المؤرّخين من يُعيده إلى القرن العاشر (ق.م).

أقدم مستوطنة أسسها الفينيقيون على شواطئ جنوب غرب إسبانيا هي مستوطنة (قادس) في نهاية القرن(12 ق.م) أي 1110 ق.م.

4 – المستوطنات :

أ – مستوطنات شمال الحوض الغربي للمتوسّط :

– مستوطنة قادس :

تقع في شبه جزيرة ابيريا، على شواطئ جنوب غرب إسبانيا ،و هي أقدم مستوطنة أسّسها التّجار الفينيقيون في نهاية القرن(12 ق.م) أي 1110 ق.م، لأغراض اقتصادية و الحصول على خامات المعادن كالفضّة و القصدير و النّحاس و استبدالها بالمواد المصنّعة التّي كانوا يجلبونها من شرقي البحر المتوسّط.

أمّا عن معالمها الأثرية القديمة فلم يبقى منها إلا بعض المقابر المنتشرة هنا و هناك في وسط شبه الجزيرة و أطرافها.

إلى جانب قادس هناك بعض المدن الأخرى موزّعة في جنوب شبه جزيرة إبيريا نذكر منها: التي كانت مخصّصة لتجفيف الأسماك و تمليحها.

[1] **أعمدة هرقل** : مضيق جبل طارق حالياً، سميت بأعمدة هرقل نسبة إلى القائد الإغريقي الأسطوري هرقل.

مالقا (Malga)، أبديرا (Abdera) و سيكسي (Sixi).

من بين المستوطنات الفينيقية الهامّة في شمال الحوض الغربي للمتوسّط نجد أيضا:

♦ مستوطنات جزر الباليار مثل جزيرة ابيزا (Ibiza) التي أُسّست في حوالي 654 ق م و كانت تمثل قاعدة بحرية هامة للأسطول الفينيقي الذي كان ينطلق منها إلى الشواطئ النوميدية جنوباً و الإبيريا غرباً. و من جهة أخرى كانت تقع على الطريق الرابطة بين المستوطنات الفينيقية في شبه جزيرة سردينيا. يُحتمل أنها كانت مخصّصة لتجفيف السّمك و الحُصول على صباغة الأرجوان و ذلك للعُثور على أحواض قديمة أثرية بالموقع.

♦ مستوطنات سردينيا من بينها مدينة **نورا**(Nora) التي بنيت على شبه جزيرة وعثر الأثريون على بقايا أثرية من بينها نصب تذكاري وجدت عليه كتابة فينيقية تعود إلى نهاية القرن التّاسع ق م. و هي بذلك معاصرة لقرطاجة.

هناك مدن أخرى موزّعة على الأطراف الغربية لجزيرة سردينيا منها:

♦ سولكيس

♦ كارااليس التي عُثر فيها على قبور تعود إلى القرن الخامس ق م.

♦ ثاروس

♦ مستوطنات صقيلية، تجمّع الفينيقيون غرب الجزيرة لأنّ شمالها كان للإغريق. من بين هذه المدن، **موتيا** ؛ التي بنيت في جزيرة في خليج محمي يقابل رأس بونة في بلاد المغرب. حلّ الفينيقيون بها في حوالي القرن الثامن ق م.

ب – **مستوطنات المغرب:**

– مستوطنة ليكسوس:

كانت مدينة ليكسوس من أبرز المستوطنات الفينيقية القديمة التي أسست على سواحل المحيط الأطلسي، أنشئت على الضّفة اليمنى لنهر ليكسوس (نهر الدرعا حالياً) الذي يصبّ في المحيط الأطلسي مكوّناً خليجاً صالحاً للملاحة.

تشير الكتابات التّاريخية إلى أن تأسيسها يعود إلى نهاية القرن الثاني عشر ق.م.و هي معاصرة لمدينة قادس و سابقة لمدينة أوتيكا.

- مستوطنة أوتيكا:

تقع أوتيكا في وسط سهول تونس، تشير الكتابات التّاريخية بأنّ تأسيسها يسبق نشأة قرطاجة بحوالي 278 سنة، مما يجعلنا نستنتج بأنّ تأسيس أوتيكا تمّ في حوالي عام 1101 ق.م.
كانت محطّة تجارية يلتقي فيها سكّان المغرب بالتّجار الفينيقيين، و عندما كثر عدد التجّار الهاجرين الذين استقرّوا في أوتيكا، انتقلت هذه المحطّة إلى مستوطنة إسكان.

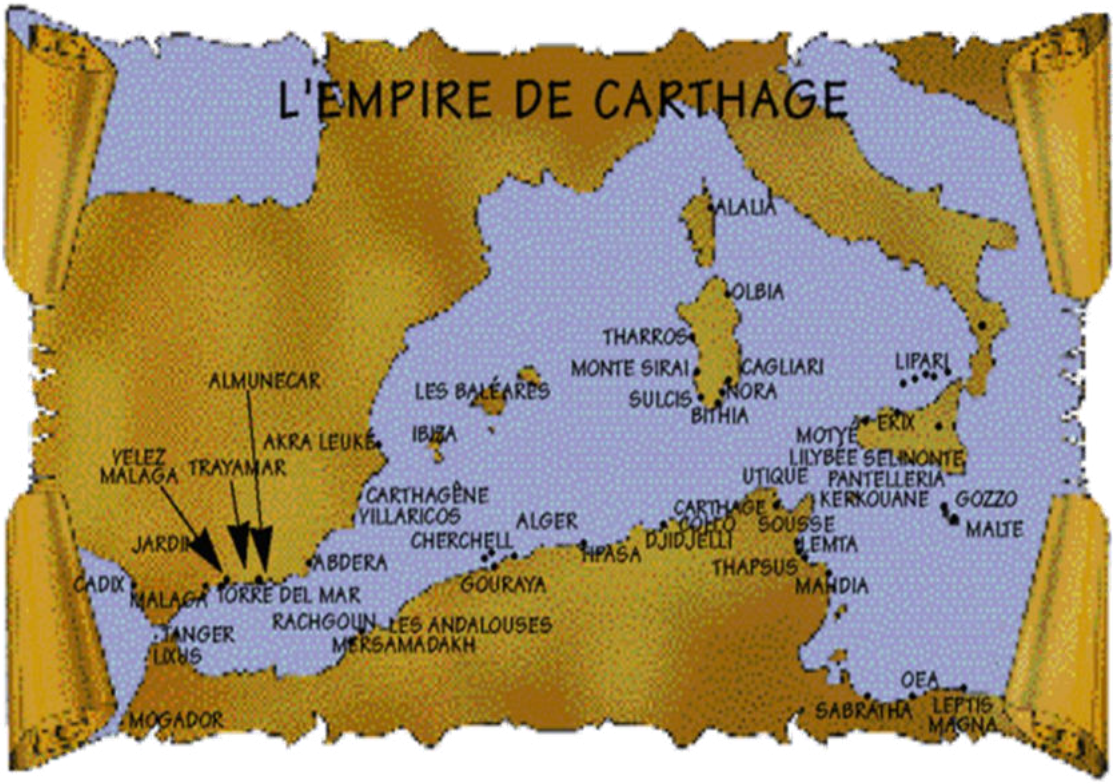

- مستوطنات أخرى:

شملت المحطّات التّجارية الفينيقية كامل سواحل بلاد المغرب الشرقية ابتداءَ من الحدود الشرقية لخليج السّرت حيث كانت تتواجد مستعمرة قرينة Cyranica الإغريقية. و تمتدّ هذه المراكز التّجارية إلى بقيّة سواحل بلاد المغرب ابتداءً من قرطاجة شرقاً حتّى أعمدة هرقل غربًا(مضيق جبل طارق حالياً)، ثمّ تنعطف بعد ذلك جنوباً على سواحل القارّة الإفريقية الشّمالية الغربية

حتّى ليكسوس. و تتتابع جنوبا مشكّلةً سلسلة المراكز الت أنشأها حنون حوالي نهاية القرن الخامس ق.م.

شرقًا نجد:

لبدة Liptis

Oea طرابلس

صبراطة Sabrata

قابس Thacapab

أشولة Acholla

رأس الدّيماس Thapsus

حدرومت (سوسة) Hadrumet

وغيرها.....

غربًا نجد:

أوتيكا Utica

بنزرت Hippo-Zarit

عنابة Hippo-Regius

سكيكدة Rusicade

جيجل Igilgili

بجاية Saldae

دلس Rusucuru

الجزائر Ikosim

تيبازا Tipaza

شرشال Iol

قورايا Gunugu

تنس Cartennae

سيقا Siga

مليلة Rusadur

تطوان Tamuda

طنجة Tingi

وغيرها.....

تعدّ مرحلة الاستيطان الفينيقي متمّمة للتاريخ الفينيقي في شرقه، قد استمرّ حتى منتصف القرن السادس ق.م عندما استلمت قرطاجة زعامة المستوطنات الفينيقية في غربي البحر المتوسّط. و تحوّلت إلى إمبراطورية تنافس المستوطنات الإغريقية في غربي المتوسّط و تعقد التحالفات والمعاهدات مع كل من الإتروسكيين و الرومان.

المدينة خلال الفترة الليبية البونية-1

عموميات

مقدمة:

خلال فترة فجر التاريخ، استقرّ الإنسان في مجمعات سكنية بعد ما اكتشف الزراعة واستأنس الحيوانات و صنع أدواته الفخارية بنفسه. و أخذ يدفن موتاه في تلات ودولمانات وحوانيت. للأسف ليس هناك مصادر كتابية تحدثنا عن هذه الفترة، بينما المصادر المادية فقد وصلتنا خاصة بقايا القبور التي أعطتنا معلومات كثيرة عن الليبيين، معتقداتهم، طريقة دفنهم و حتى الأواني التي استعملوها في حياتهم اليومية خاصة منها الفخارية. بينما المعلومات الخاصة بالمدينة فلا نجد أي نص أو دلائل تفيدنا بمعلومات عنها.

عند وصول الفينيقيين إلى سواحل شمال إفريقيا خلال القرن الثاني عشر، تبدأ النصوص القديمة تحدثنا عن هذه المنطقة. نعلم أن الفينيقيون أسسوا مراكز تجارية لتبادل بضائعهم بمواد أولية مع الليبيين، من جلود حيوانات و معادن ثمينة و غيرها.
تحوّلت هذه المراكز إلى مستوطنات أنشئت في أماكن محمية قرب الخلجان و الرؤوس لحماية سفنهم من العواصف و الرياح القوية. بحيث نجد مدن كثيرة أسمائها تبدأ بكلمة (روس) التي تعني رأس باللغة الفينيقية مثل روسيكاد (سكيكدة) و هناك التي تبدأ بكلمة (إي) التي تعني جزيرة مثل ايول (شرشال).

تذكر النصوص القديمة العديد من هذه المستوطنات، البعض منها تحوّل إلى مدن كبيرة. الكثير من هذه المدن الساحلية و حتى الداخلية منها تحمل أسماء فينيقية أو بونية فيما

بعد لكن هل هذا يجعلنا نجزم من أنها كلها مدن فينيقية أو بونية؟ فهل يمكن لكل هذه المدن أن تعمّر بالفينيقيين؟

نعلم أن الفينيقيين كانوا أقلية في هذه الأراضي الليبية فالاسم ليس دليل قاطع عن أصل سكان المدينة. و بما أن الفينيقيين تجار، يحتاجون إلى سكان هذه المنطقة لبيع بضاعتهم فذلك يؤدي بنا إلى القول أنّ هذه المدن الساحلية كانت تأوي في البداية الليبيين و الفينيقيين و بعدها البونيين و الليبيين. أما المدن الداخلية فكانت لليبيين.

ذكرت النصوص القديمة كذلك مدن نوميدية مثل العاصمتين الملكيتين سيرتا و سيقا، و ذلك خلال القرن الرابع قبل الميلاد.

مدينة سيرتا مثلا، يقول بعض الباحثين أن اسمها فينيقي، و الآثار المتواجدة بها تبيّن أنّ السكان كانوا متشبعون بالثقافة البونية لكنها لم تكن أبدا تحت سيطرة قرطاجة و لا تابعة لها في أية فترة من تاريخها بل كانت عاصمة النوميديين الماسيل.

في الحقيقة كل مدن المملكة النوميدية و المورية أو قرى صغيرة، و إن كانت تحمل اسم فينيقي أو ليبي أو موري فإنها كلها تعتبر مراكز للثقافة البونية حيث وجدت فيها منتوجات بونية كالفخاريات التي نجدها في سيرتا و في كل المرافئ الساحلية و حتى في أقصى الغرب في مدينة فوليبليس.

تمثلت هذه الثقافة أيضا في وجود المعابد و الطقوس الدينية البونية داخل حدود الممالك النوميدية و حتى المورية. و الدليل على ذلك هو الإهداءات الدينية و كذا النصوص الإدارية القليلة المحفوظة إلى يومنا هذا إضافة إلى النقود المضروبة باللغة البونية.

بقيت هذه التأثيرات حتى الفترة التي حطمت فيها قرطاجة، و شملت تقريبا كل مدن شمال إفريقيا ماعدا دوقة (THUGGA) التي حاولت تحت حكم ماسينيسا ثم مسيبسا استعمال اللغة الليبية في النصوص الرسمية.

هذا عن التأثيرات البونية في هذه المدن، أما عن هذه المدن في حدّ ذاتها، مخطّطاتها و كامل المعالم المكونة لها فلا نملك معلومات كثيرة عنها.

1 – نشأة المدن وتطورها:

يتخذ العمران البشري مظهرين كبيرين من مظاهر الاستقرار هما القرية و المدينة. فالقرية تعد أكثر وأقدم مظاهر التجمع السكاني، فقد عرفت منذ القديم عندما التجأ الإنسان إلى الاستقرار نتيجة لعدة ظروف طبيعية وبشرية و بني المساكن في وحدات متجمعة مكونا ما يعرف بالقرية. و احترف سكان القرى حرفة الزراعة التي مازالت حتى الآن، التي تعد النشاط الأساسي لسكانها، ما يختلف عدد سكان القرى حسب ظروف نشأة كل منها. فقد لا يتجاوز عدد مساكن وسكان بعضها عن بضعة عشرات، بينما نجد قرى أخرى يصل حجم الواحدة قدر المدينة الصغيرة.

أما المدينة فهي المظهر الثاني من مظاهر التجمع السكاني، وفي بعض الأحيان لا تزيد مساحة المدينة وعدد سكانها عن بعض القرى الكبيرة. وتمتاز المدينة عن القرية بعدة خصائص. فمن ناحية عدد السكان مثلا، نلاحظ أن عدد سكان المدينة أكثر – بصفة عامة – من عدد سكان القرية ولو أنه يوجد بعض القرى التي يزيد عدد سكانها عن سكان بعض المدن، ولذلك فإننا لا نستطيع أن نفرق بين القرية والمدينة من هذه الخاصية .

أما من ناحية الوظيفة، فقد رأينا في تعريف القرية أن النشاط الزراعي يلعب دورا رئيسيا في نشاط السكان، أما في المدينة فإنه يلعب دورا ثانويا في نشاط السكان وقد ينعدم وجوده تماما. ويوجد بالمدن أنشطة متنوعة من أهمها الصناعة والتبادل التجاري، كما تتركز بالمدن الإدارة والسياسة...الخ. و تعد المدينة مركزا لتبادل الآراء والأفكار.

عرفت المدن منذ القديم في معظم جهات العالم. و إذا تتبعنا نشأة المدن الأولى في الحضارات الإنسانية العريقة في واد النيل و بلاد الرافدين و سواحل فينيقيا وفي سهول الهندوستان والصين، نجد أن ظهورها قد ارتبط بتقدم العلوم والفنون.

وقد أصبح بعض هذه المدن مركزا للحكم و الإدارة و تشير الوثائق التاريخية أن أقدم المدن عرفها العالم وجدت في العراق مثل : نينوى و آشور ، و في مصر مثل منفيس. و قد اندثرت المدن القديمة ومازالت تشهد بقاياها الأثرية على ما كانت عليه من تقدم و ثروة و غنى وقد أقيمت على أنقاض معظم هذه المدن في العصور التاريخية المختلفة مدنا أخرى نمت وتطورت حتى أصبحت في الوقت الحالي مدنا ضخمة متعددة الوظائف.

المكان الذي أنشأت فيه المدن يعتبر إطار طبيعي استراتيجي يتم فيه بناءها و توسعها. وقديما كان يشترط لبناء المدن توفر أماكن معينة مثل تل أو ربوة حتى تسهل الحراسة و الدفاع عنها. كما أن المناطق المرتفعة أكثر ملائمة – من حيث المناخ – من السكن على السهول. أو تبنى على خلجان عميقة ملائمة لتأسيس الموانئ. أو فوق جزيرة لسهولة الدفاع عنها و كذلك للإستفادة منها في التبادل التجاري. أو تبنى عند نقطة إلتقاء الأنهار، وعند التوسع في هذه المدن فإنها تتجاوز موضعها الأصلي. ولابد في كل هذه الحالات من انتقاء الموضع الذي يتوافر به القدر الكافي من المياه، مثل مياه الآبار والينابيع والمجاري المائية. ومع ذلك فقد نشأت بعض المدن المحرومة من مصادر المياه ولذلك فنجد المياه تنقل إليها من مصادر بعيدة.

2 – تخطيط المدينة و توزيع المعالم بها:

التجمعات العمرانية في العصور القديمة كان لها شكلها التنظيمي و غالبا ما كان دائريا لأسباب دفاعية. فنجد أن أسوار مدينة كركوان شبه دائرية أما أسوار مدينة قرطاجة فأحدها مستقيم. وتتوزّع فيها معالم مختلفة من عمومية، مدنية، دينية، جنائزية و غيرها.

2 – أ – تخطيط المدينة:

يقصد بتخطيط المدينة الشكل الذي تنضم بموجبه شوارع المدينة وساحاتها وأبنيتها. ويراعي في تخطيط المدينة ظروفها التاريخية والحالية والمستقبلة، وعلى العموم فتخطيط المدن شيء حي متطور دائم يتنازعه ماضي المدينة وقوة مستقبلها. ويتأثر تخطيط المدينة بظروف موضعها فالمدن التي تنشأ على المرتفعات يختلف مخططها عن المدن التي تشأ في بطون الأودية، كما يتأثر تخطيط المدينة كذلك بوظيفتها.

هناك نوعين من المدن، هناك التي بنيت بشكل عشوائي و المعالم فيها تضاف الواحد تلو الأخر بتوسعها الشيء الذي يعطي لنا مدينة ذات مخطّط غير منتظم. وهناك مدن أخرى ذات مخطّطات منتظمة خطّطت مسبّقا قبل الشروع في البناء.

- **التخطيط غير المنتظم** : ويلاحظ هذا التخطيط بوضوح في الأحياء القديمة، في الشوارع ضيقة و ملتوية والمنازل متلاصقة و من النادر أن نجد مدنا بأكملها، يسودها هذا النوع من المخططات، فقد أنشأت الأحياء الحديثة والمخططة تخطيطا بديعا حول الأحياء القديمة.
- **التخطيط المنتظم**: و في هذا التخطيط تقسم المدينة إلى عدة أقسام منتظمة تتقاطع فيه الشوارع طوليا وعرضيا على شكل لوحة الشطرنج.

هذا ومن النادر أن تكون المدن الكبرى ذات مخطط واحد منتظم فغالبا يتغير مخططها مع العصور التاريخية المختلفة، وأيا كان نوع المخطط فإن كل مدينة – في الغالب – تتكون من عدة أحياء تتميز عن بعضها في عصور نشأتها وتاريخها.

نجد هذا النوع من المخطّطات المنتظمة عند الإغريق، فخلال القرن الخامس قبل الميلاد عندما وصلت حضارتهم أوجها، كانت مدنهم ذات مخطّطات منتظمة.

يرجع هذا المخطط الإغريقي إلي هيبوداموس (Hippodamus) الذي وضع نظريات تخطيط للمدينة تم إتباعها من بعده تأثر فيها بالتخطيط الشبكي الشرقي، المصري القديم[2] مثلا، وقد أعطى "هيبوداموس" مجموعة من التوصيات في تخطيط المدينة كالأتي:

1. إتباع التخطيط الشبكي أو الشطرنجي في تخطيط شوارع المدينة.
2. توفير الاتجاهات الصحية من تهوية وتشميس للمنزل باعتباره الوحدة الأساسية في تكوين المدينة.
3. التوافق مع ظروف الموقع.
4. دراسة الطرق الرئيسية من حيث تناسب عروضها وحركة المرور بها، وهو ما يدل على التفكير المبكر لحساب سعة الطرق.

يركزون على أهمية موقع المدينة، و يختارون أعلى نقطة في المدينة لبناء الأكروبول (Acropole) و هو عبارة عن معبد و مركز لرجال الدين، و انطلاقا من الأكروبول تقسم المدينة إلى اثنتي عشرة منطقة بها ساحة عمومية تدعى الأقورا (Agora) حولها معالم متنوعة مثل المساكن.

في شمال إفريقيا لدينا مدينة أعطتنا مخطّط شبه كامل لها و هي كركوان و هناك مدينة قرطاجة التي أعطتنا مخطّطات الأحياء و بعض المعالم الأخرى مترامية هنا و هناك مثل توفيت سالمبو و الميناءين ... الخ.

[2] حيث يلاحظ تقاطع الشوارع في زوايا قائمه وعلى مسافات متساوية. كما يعد المصريون القدماء أول من طور التقسيم الشبكي في تخطيط المدن، مثل تخطيط المصاطب الشطرنجي بجوار الهرم الأكبر بمنطقة " الجيزة". إضافة إلى تخصيص أحياء منفصلة من خلال التوزيع المناطقى "Zoning" لأحياء مدينة "تل العمارنة" نفسها، للفصل بين الطبقات الاجتماعية.

قدمت لنا الحفريات التي أقيمت بكركوان معلومات كثيرة عن مخطّط المدينة و مكوناتها من معالم مختلفة. لحسن حظ الباحثين هذه المدينة بقيت على حالها بعد تهديمها من طرف الجيش الروماني خلال الحرب البونية الأولى لأنها لم تسكن بعدها.

2– ب – توزيع المعالم بالمدينة:

من بين المعالم التي يمكن أن نلتقي بها في المدن خلال الفترة الليبية البونية، نجد:

- **العمارة الدفاعية** ممثلة بأسوار المدينة. فالأسوار مهمة جدا في حفظ الأمان و صدّ العدو. ففي مدينة كركوان مثلا نجد سور دفاعي مزدوج شبه دائري. بين السور الأول و الثاني نجد رواق للتنقل كما نجد أبراج الحراسة و المراقبة و أدراج تؤدي إلى الأعلى للحراسة. و في مدينة قرطاجة هناك ثلاثة أسوار دفاعية استعملت الفراغات التي بينها لإيواء الفيلة و الأحصنة إضافة إلى المخازن و الثكنات العسكرية.

- فيما يخصّ **العمارة العمومية**، نجد مثلا **الساحة العامة**، التي تكون عادة وسط المدينة تجمع سكانها. يمكن أن نجد أكثر من ساحة في مدينة واحدة ففي مدينة كركوان مثلا نجد ثلاثة ساحات قريبة فيما بينها. كانت تشكل حتما مركز اجتماعي اقتصادي لأن الحفريات كشفت في المكان على العديد من الفخاريات ذات أنواع مختلفة من أنفورات و صحون و كؤوس و غيرها، إضافة إلى القطع النقدية. كما نجد من المعالم العمومية كذلك **الشوارع**، ففي قرطاجة مثلا، يقول أبيانوس أن هناك ثلاثة شوارع تصعد من الساحة العامة إلى ربوة برصة، يقول عنها أنها ضيّقة و ملتوية. و كانت مظلمة بسبب المنازل العالية. أما في كركوان فهناك شوارع واسعة متقاطعة و مستقيمة خاصة في وسط المدينة أما في أطرافها فهي غير مستقيمة بل تتبع سور المدينة. و هي مبلّطة بالحجارة و بها قنوات تصريف المياه. و هي تشكل قطع سكنية أو أحياء. من المنشات

العمومية كذلك نجد **الموانئ**، التي يمكن أن تدخل مع المنشات الدفاعية أو الحربية ويمكن أن تدخل ضمن المنشات التجارية. ففي قرطاجة مثلا نجد ميناء ذو جزأين أحدهما حربي دائري الشكل، و الثاني تجاري مستطيل الشكل.

- أما عن **العمارة المدنية**، فنجد المساكن الموزّعة في أحياء سكنية من منازل بسيطة وأخرى فخمة ذات ملحقات متنوعة كالحمامات و قاعات ذات أرضيات فسيفسائية. المنزل في كركوان يحتوي على مدخل يؤدي إلى رواق أو دهليز منكسر لحفظ المنزل من أنظار العامة. يحتوي الدهليز في بعض الأحيان على مقعد، يؤدي غالبا إلى الفناء الذي يحتوي بدوره على مساحة مركزية و أروقة تحيط بها مشكلة بواسطة أعمدة، يحتوي الفناء في أغلب الأحيان على بئر و بداية درج قد يوصل إلى طابق علوي. حول الفناء نجد مختلف القاعات المكونة للمنزل. من بين القاعات التي تحتوي على كوات كأنها خزائن مبنية. أرضيات القاعات و الفناء في الغالب مبلّطة بملاط مع قطع من الرخام أو الزجاج. المنازل في كركوان تحتوي على حمام مبلّط بفسيفساء. الحمام على شكل كرسي إما واحد أو اثنين و الكل مطلي بملاط وردي اللّون و نجد حتى حوض صغير لغسل الأيدي (évier).

- فيما يخصّ **العمارة الدينية** نجد خاصة المعابد المخصّصة للآلهة المعبودة خلال الفترة الليبية البونية مثل بعل حمون، تانيت، اشمون أو ملكارت. نجد بقرطاجة توفات سالمبو و معبد اشمون اله الطب. و نجد بقسنطينة معبد الحفرة.

- أما عن **العمارة الجنائزية** الممثّلة بالمدافن، فنجد منها (الليبية و البونية) و الأضرحة الملكية. من المعروف أنّ المقابر تكون دائما بعيدا عن مدينة الأحياء. المقابر متنوعة من حفر بسيطة إلى أخرى مبنية أو محفورة.

3 – وظائف المدن:

تؤدي المدن وظائف مختلفة عديدة، وهذه وظائف متداخلة لدرجة كبيرة و ليس من السهل تحديد أي الوظائف هي الأولى و السائدة في المدينة. وعموما فقد قسمت المدن على أساس الوظيفة إلى عدة أنواع من أهمها:

–**المدن التجارية**: ويتم فيها تبادل المنتجات. وتقوم هذه المدن بخدمة المناطق المجاورة لها حيث يتم في أسواقها تبادل منتجات الجهات التي تجاورها. وغالبا ما تقع هذه المدن عند مناطق الانتقال بين الأقاليم الطبيعية المختلفة في إنتاجها. ولذلك فانه يتم في هذه المدن تبادل المنتجات الزراعية والصناعية المختلفة.

الموانئ التجارية: تعد الموانئ النوافذ التي تطل منها الدول على العالم الخارجي وعن طريقها يتم التبادل التجاري. ولكل ميناء إقليم يقع خلفه، يخدمه ويصرف منتجاته كما يستقبل البضائع لتوزيعها عليه. وحتى يكون الميناء مثاليا يشترط فيه الخصائص الآتية:

- أن تكون مياهه عميقة حتى تستطيع السفن الضخمة الرسو فيه.
- أن يكون محميا من العواصف
- أن يكون متسعا حتى يستقبل عددا كبيرا من السفن في آن واحد.
- أن تحيط به أرض فضاء صالحة لنموه سهولة المواصلات بين الميناء و إقليمه.

–**المدن الحربية**: من المعتقد أن الوظيفة الحربية هي أقدم وظيفة عرفتها المدن. من المدن الحربية القديمة مدن قلاع التي كانت تقوم بحماية البلاد، أو العواصم مثل الكاستيلات التي كانت تحيط بمدينة سيرتا و تحميها من الخطر الخارجي مثل كاستيلوم تيديتانوروم (تيديس). وكانت المدن الحربية تقام على قمم التلال عند مداخل الممرات الجبلية الهامة، وقد ساعدها هذا الموقع على الدفاع ضد المعتدين وإعاقة هجومهم، وبعد تطور وسائل الحرب فقدت هذه المدن أهمية موضعها.

-**العواصم** : العواصم هي مراكز السلطة الإدارية و السياسية، وتختلف العواصم فيما بينها مساحتها وعدد سكانها اختلافا كبيرا. ويرجع نمو و تضخم العواصم إلى أنها تجمع إلى جانب وظيفتها السياسية و الإدارية عدة وظائف أخرى مثل الوظيفة التجارية ...الخ. كما تعد العواصم رمزا لعز وحضارة الدولة و الأمم و لذلك ففي أثناء الحروب يحاول كلا المتحاربين الوصول إلى عاصمة العدو الآخر، لأنه من النادر أن تصمد الدولة في الحرب بعد عاصمتها.

اختيار العواصم تتحكم فيه عوامل كثيرة و متشابكة منها الموقع الوسط الذي يجعلها سهلة الاتصال ببقية أجزاء الدولة، كما قد يكون لهذا الموقع أهمية في حماية العاصمة من خطر الهجوم البري عليها. أن تتوسط المراكز التي يوجد بها معظم الثروات المستغلة والمحتمل استغلالها.

للعوامل التاريخية كذلك دور كبير في اختيار العواصم. كما أن الاستعمار كان له دور في اختيارها، ففي المستعمرات نجد أن العواصم قامت على السواحل حتى تربطها بالدولة المستعمرة.

مواصلات الإقليم كذلك تحكم في اختيار العواصم. ففي الدول التي تعتمد على الأنهار في مواصلاتها، تقع عاصمتها عادة على نهر مثل سيرتا و سيقا، أو على سواحل البحار وقد ساعدها ذلك على سهولة اتصالها ببقية أنحاء البلاد وبالعالم الخارجي مثل قرطاجة.

مدينة كركوان

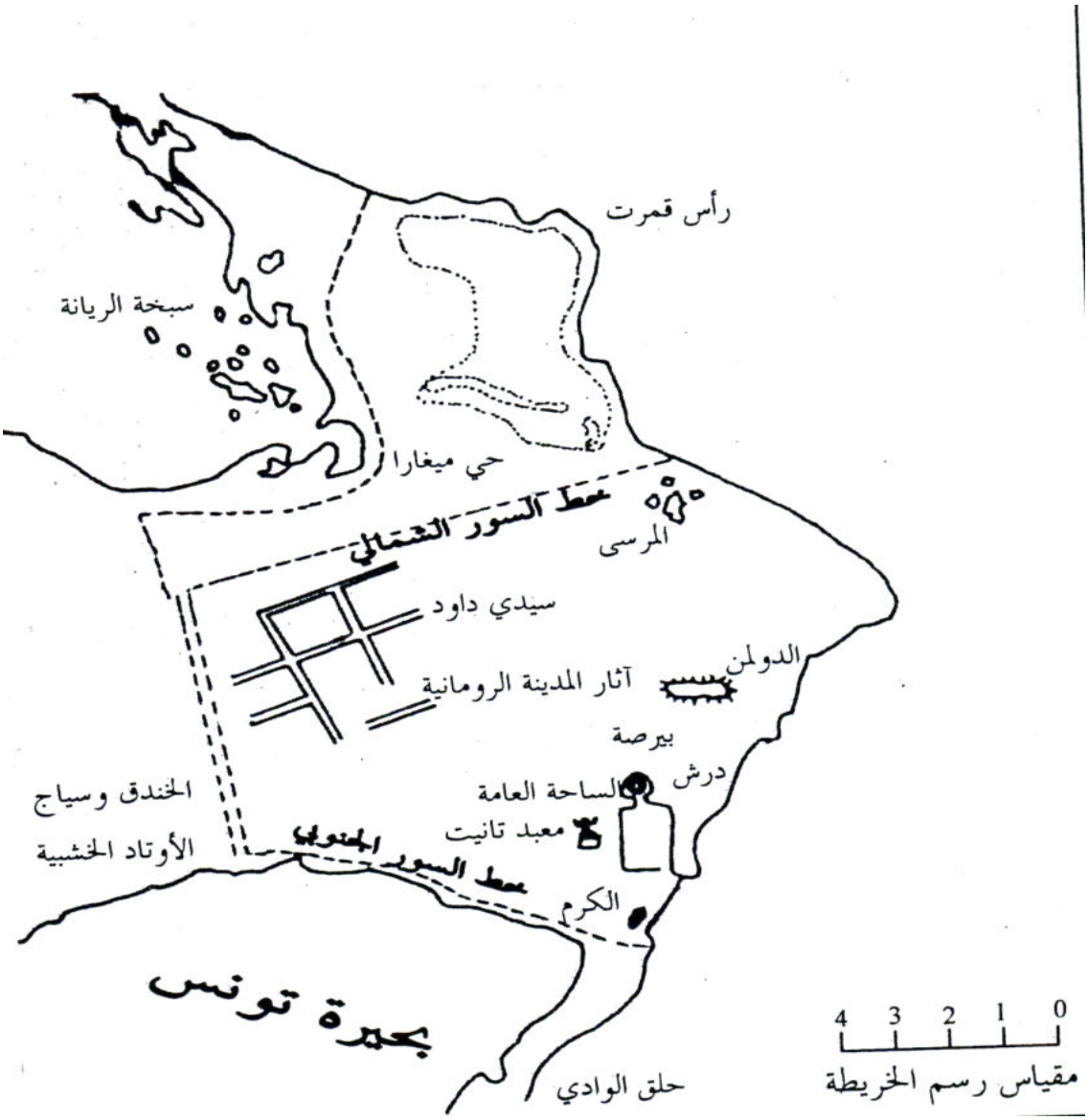

مدينة قرطاجة

المدينة خلال الفترة الليبية البونية-2-

المعالم الأثرية لمدينة قرطاجة

تقع مدينة قرطاجة في الشّمال الشّرقي للبلاد التّونسية بشبه جزيرة تطل على البحر الأبيض المتوسّط فهي محاطة بالبحر من جهة و ببحيرتي تونس و الريانة من الجهتين الأخريين، فهي بهذا ، تمتاز بموقع استراتيجي هام.

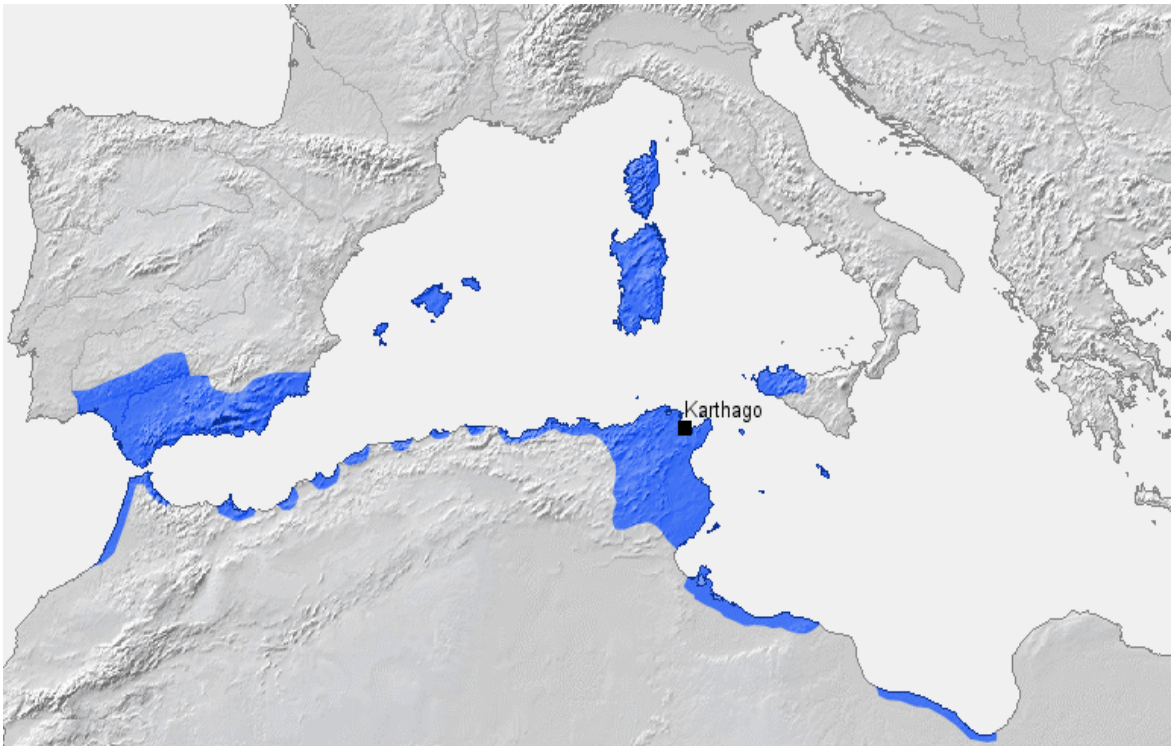

خريطة تبين موقع مدينة قرطاجة

كانت مقسمة إلى أحياء سكنية متميّزة حسب الطبقات الاجتماعية و هي أحياء صلامبو، بيرصة و ميغارا.

عثر بهذه الأحياء على بقايا منتشرة من المعالم الأثرية مثل المقابر و المعابد مثل معبد تانيت (التوفات) بصلامبو و معبد أشمون ببيرصة، إضافة إلى المساكن المختلفة و تحف كثيرة متواجدة حاليا بالمتاحف.

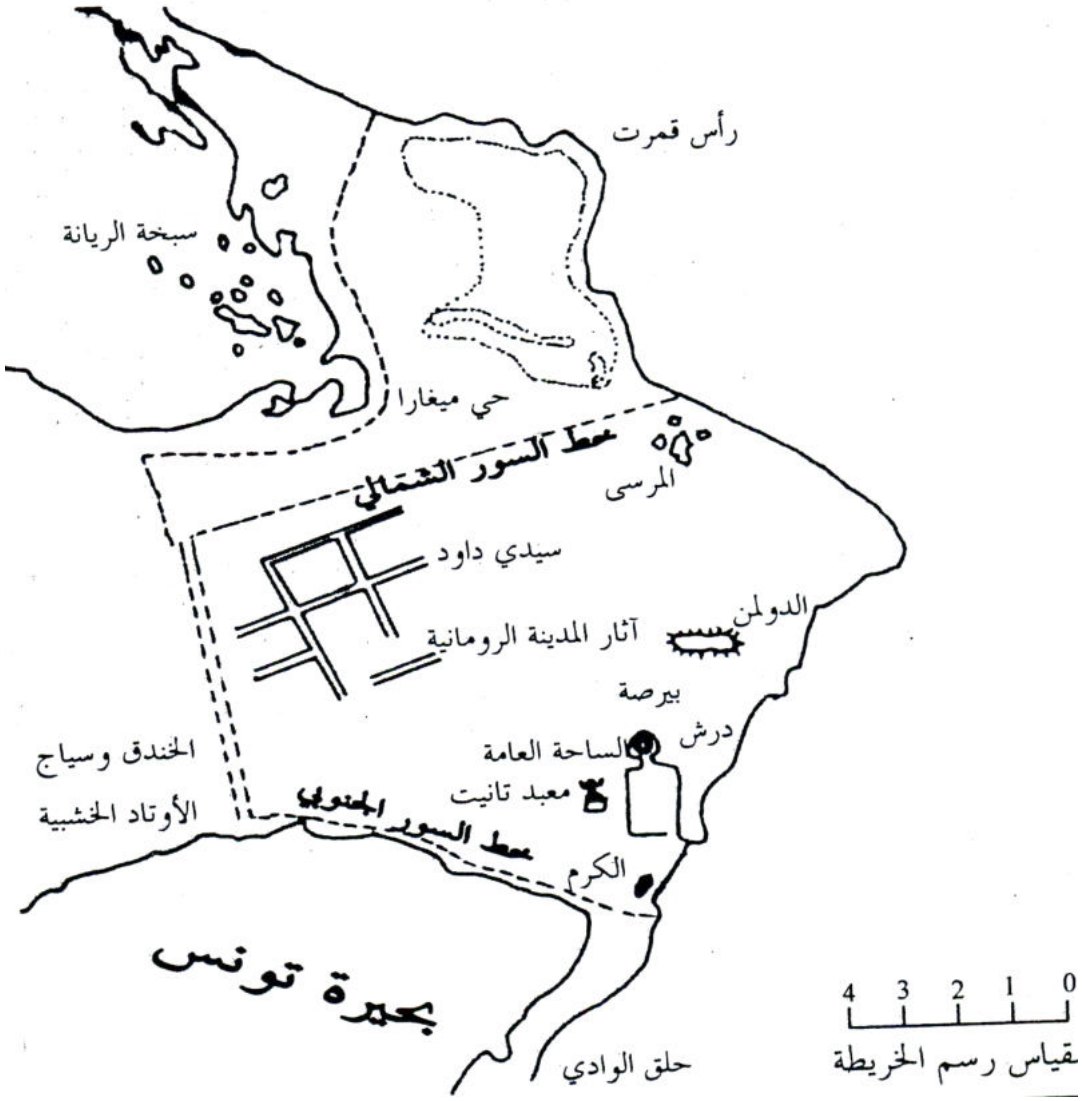

شكل يبين بعض البقايا الأثرية لمدينة قرطاجة

أهم معالم قرطاجة:

بفضل الحفريات العديدة والنصوص القديمة سطعت الأنوار على المعالم الأثرية لمدينة قرطاجة، منها الأسوار الدّفاعية، الموانئ، الأحياء السّكنية، المعابد، المقابر ....الخ.

1 – الأسوار الدفاعية

مهما كانت طبيعة سور المدينة و تاريخ بنائه، فقد كان يشكّل بحقّ منشأة دفاعية هامة تحطّمت على جدرانها كل محاولات الغزاة من إغريق و رومان.

يقول **أبيانوس** أن قرطاجة كانت محاطة بثلاثة أسوار، ارتفاع كل واحد منها 13.32 م تتخلّلها شرفات و أبراج للمراقبة. عرض السور الأوّل حوالي 8.88 م.

و يقول **استرابون** أن طول سور المدينة كان قد بلغ 64 كم ، يرى الباحثون أنه بالغ في تقدير الطول أما تيتيوس ليفيوس يقول أنه قد بلغ 32 كم.

يوجد في الجهة الداخلية من كل سور فراغ بني بشكل طابقين، خصّص أوّلها لإيواء 300 فيل بزادها و معاشها. أما الطابق الثاني فقد كان إسطبلا يتّسع لحوالي 4000 حصان بما في ذلك مخازن للعلف و الشعير بالإضافة إلى ثكنات عسكرية تأوي حوالي 20 ألف من المشاة و 4000 من الفرسان.

إضافة لهذه الأسوار الدفاعية و الأبراج هناك خندق عظيم يبلغ طوله 20 م.

2 – الأحياء السكنية:

تنقسم مدينة قرطاجة إلى أحياء سكنية متميّزة حسب الطّبقات الاجتماعية التي كان يتكوّن منها المجتمع القرطاجي و هي حيّ بيرصة، صلامبو و ميغارا.

حيّ بيرصة متواجد فوق مرتفع أو هضبة، كان محاطاً بسور قويّ، يتوسّطه معبد الإله أشمون و في الناحية الجنوبية منه توجد المقبرة العامة. كانت هناك ثلاثة شوارع تنحدر من نفس الحيّ لتربطه بالسّاحة العامة و الميناء المزدوج. على أطراف الشوارع هناك أبنية عالية وصل ارتفاعها

إلى ستّة طوابق التي كانت مخصّصة للطبقة الشعبية التي كانت تتكوّن من الصنّاع، التجار و الحرفيين.

و في أسفل الحيّ نجد الساحة العمومية و حولها المباني الرسمية مثل مجلس الشيوخ و الحكام و دار الثقافة.

حيّ صلامبو هو من أقدم الجهات في مدينة قرطاجة، وعرفنا ذلك بالاعتماد على بقايا قبور معبد الإلهة تانيت العائدة إلى منتصف القرن الثامن ق م . هذا الحيّ كان ذو طابع ديني و اقتصادي بحيث تواجد فيه معبد التوفيت (معبد تانيت و بعل حمون) الذي يبعد عن الميناء بحوالي 50 م فقط.

حيّ ميغارا: يقول عنه أبيان " أنه حيّ واسع تنتشر فيه الحدائق و البساتين، و هو داخل السور الكبير، يحيط بقلعة بيرصة ".

كان هذا الحيّ خاصاّ بالأغنياء والطّبقة الأرستقراطية القرطاجية التّي كانت تتمتّع بالترف.

3 – الموانئ:

يعدّ الميناء المزدوج بقسميه التجاري و الحربي من بين المعالم الهامة في قرطاجة. تشير الكتابات القديمة أن الجزأين متّصلين فيما بينهما بممر أو قناة بلغ عرضها حوالي 20.72 م تعبر منه السفن من ميناء إلى آخر. و لها مدخل واحد من البحر يقدّر عرضه بحوالي 23 م يغلق بسلاسل حديدية.

و قد كان المرفأ الأول المستطيل مخصّصا للسفن التجارية، بينما خصّص المرفأ الثاني المستدير إلى السفن الحربية، و عرف بالمرفأ الحربي.

المرفأ التجاري (المستطيل) يبلغ طوله حوالي 456 م وعرضه 325 م، عرض رصيفه 4.53م.

المرفأ الحربي (المستدير)أي الداخلي، يحيط به رصيف طول محيطه 1021 م وعرضه 9.35م به حجرات لإيواء 220 سفينة. و خصصت الجزيرة لإسكان أمير البحر.

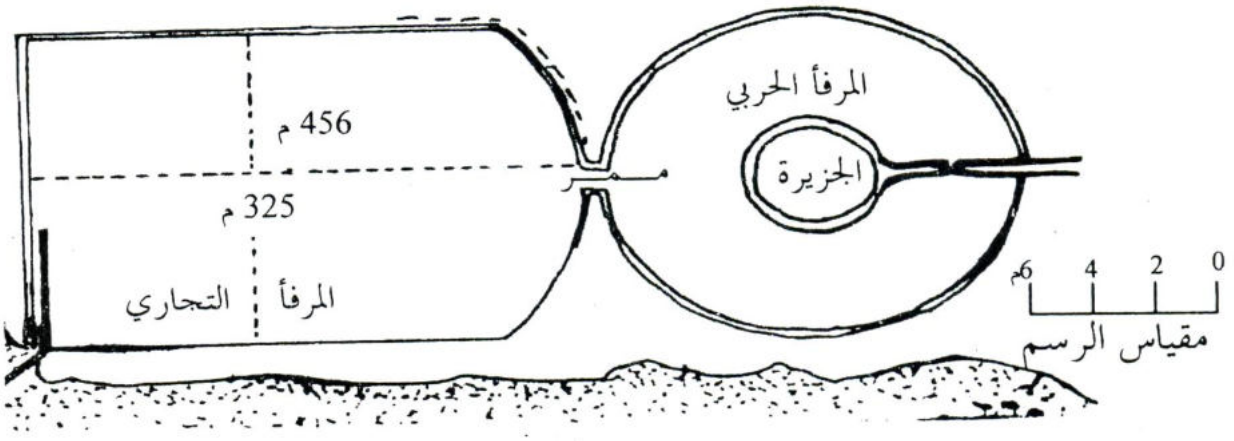

شكل يبين المرفأ الحربي و المرفأ التجاري لمدينة قرطاجة

تحيط بالمرفأين الأرصفة و الأكواخ و الأروقة، كشفت الحفريات على قطع الأعمدة و الأفاريز المجصّصة و المدهونة بالأحمر و الأخضر.

4 – المسكن:

هناك أنواع مختلفة من المنازل باختلاف المناطق و الطبقات الاجتماعية مثل ما هو الحال في كل الحضارات و كل الحقب التّاريخية.

هناك منازل على شكل **أكواخ** سمّيت (الميباليا) مقبّبة الشّكل، تحتوي على غرفة أو غرفتين على الأكثر مبنية بالحجارة الصغيرة و ركائزها من الخشب و هي خاصّة بالصّيادين.

هناك منازل أخرى مبنية بعناية على طول الشوارع، تحتوي على كل الملحقات التي تساعد على الراحة في ذلك الوقت، مثل خزانات المياه، قنوات صرف المياه المستعملة، الجدران كانت من الجصّ و الأرضيات من الفسيفساء. و أبنية عالية وصل ارتفاعها إلى ستّة طوابق، كانت مخصّصة للطبقة الشعبية من الصنّاع والتجار و الحرفيين.

هناك منازل حيّ ميغارا، بعيدا عن الموانئ، الذي كان يسكنه أثرياء قرطاجة، فكانت تدلّ على معاني التّرف و الغنى حيث كانت محاطة بالحدائق و البساتين .و هي منازل ذات غرف واسعة تحيط بحوض للمياه، أرضياتها إما من طبقة كلسية أو من قطع فسيفسائية أو من الرخام كما يحتوي بعضها على حمامات خاصة .

5 – المعابد:

لسنا نعرف معابد قرطاجة معرفة حقّة، لكننا نعلم أنها كثيرة من بينها:

معبد أشمون ببرصة : بني معبد أشمون (اله الطبّ) على المرتفع المشرف على المدينة يتم الوصول إليه بعد المرور عبر ستين (60) درجة كبيرة. بات هذا المعبد أخر معقل دفاعي إذ لجأ إليه من بقي من القرطاجيين عندما حاصر سيبيون المدينة.

معبد التوفيت (تانيت و بعل حمون) بصلامبو: اكتشف سنة 1920 بالقرب من الميناء التجاري و الذي وجدت فيه عدّة أواني فخارية تحتوي على رماد الضحايا التي قُدّمت قرابين للإله بعل حمون و الإلهة تانيت طوال تاريخ قرطاجة ابتداءا من القرن الثامن ق م حتى وقت تهديمها سنة 146 ق م. يتكوّن هذا المعبد من ثلاث طبقات متراكمة فوق بعضها و هي:

- تانيت الأولى من 730 – 600 ق م
- تانيت الثانية من 600 – 300 ق م
- تانيت الثالثة من 300 – 146 ق م

يحتوي المعبد عادة على ساحة رحبة مربّعة الشكل و مسطّحة يحيط بها جدار يقوم في داخله المصلّى الذي يحتوي على صورة الإله. و هناك حوض التوضؤ داخل السور إذ اكتُشف في مذبح صلامبو على آثار أحواض و آبار. داخل الجدار دائماً، هناك مذبح أو عدّة مذابح مرتفعة عادةً لكي يتمكّن الناس من مشاهدة الذبيحة. و تتصل بالسور أيضاً أماكن خاصة بالكهنة.

عثر في هذه المعابد على الكثير من نذور و أنصاب تهدى إلى الإلهة بمناسبة تقديم ذبيحة بشرية، توضع بقايا الذبيحة داخل جرّة تدفن تحت النصب الذي يحمل نقشا إهدائيا موجّهاً للإلهة تانيت أو الإله بعل حمون.

5 – المدافن:

تقع المدافن في المناطق الشمالية و الشرقية من المدينة. تمتدّ بشكل قوس من تلّة بيرصة حتّى الشاطئ عند سفح تلّة سانت مونيك. و تقع المدافن الأكثر قدماً داخل هذا القوس الوهمي و ترجع إلى بين القرنين السّابع و الخامس ق م.

هناك عدّة أنواع من القبور و هي **السردابية** التي يوصل إليها عن طريق آبار زوّدت بأدراج حُفرت على جوانبها. و هي تحتوي على غرفة جنائزيّة واحدة أو على عدّة غرف يوصل فيم بينها بممرّات.

في بعض الأحيان نجد كوّات على الجدران توضع فيها المصابيح.

هناك قبور **بسيطة** و هي عبارة عن حفر قليلة العمق شقّت في الأرض تتّسع لفرد واحد أو فردين على الأكثر و قد نُحت بعضها في الصّخور.

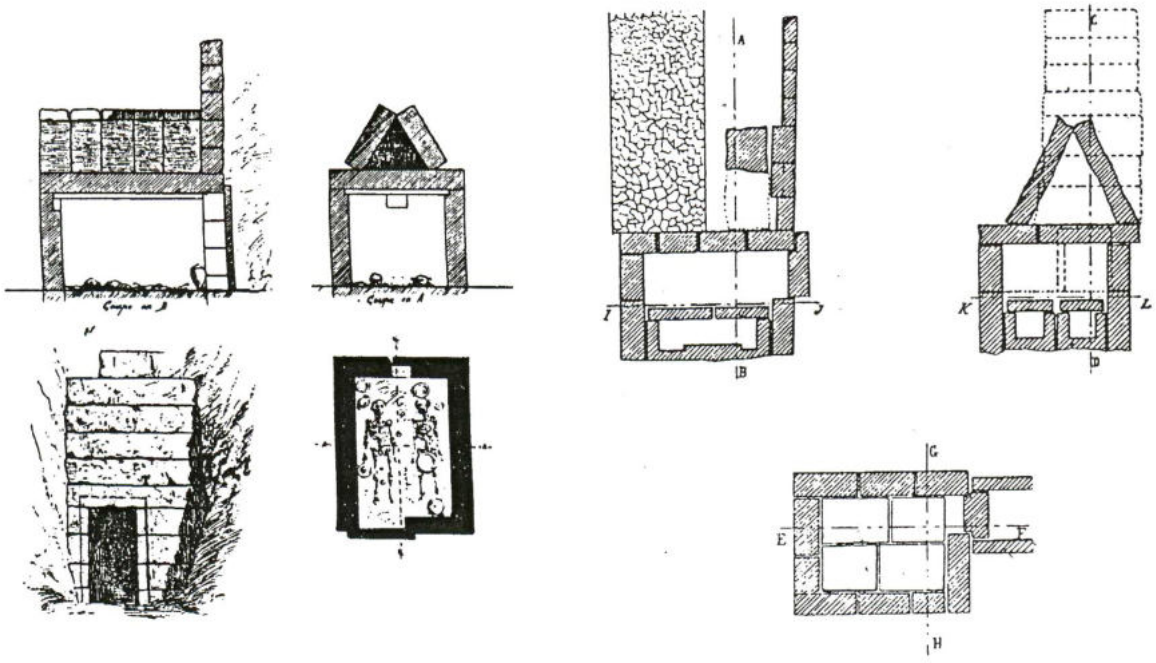

أشكال تبيّن المدافن المبنية في قرطاجة، ذات مداخل مباشرة و مداخل على شكل آبار

1

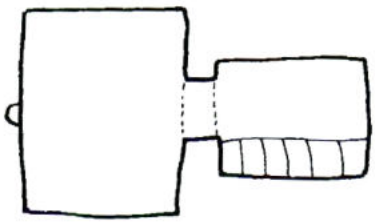

2

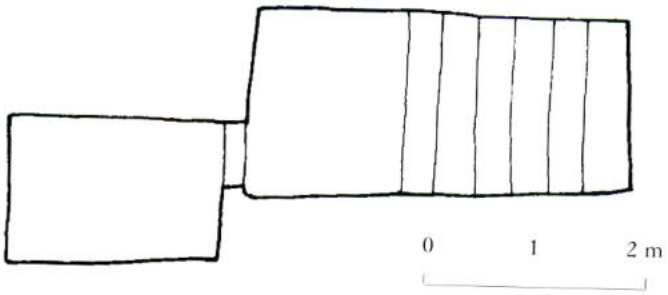

3

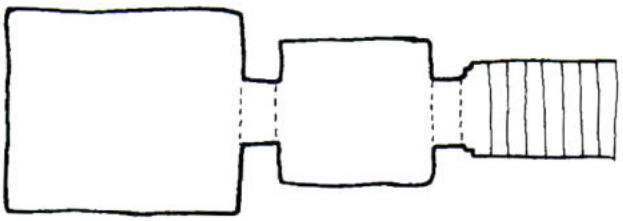

4

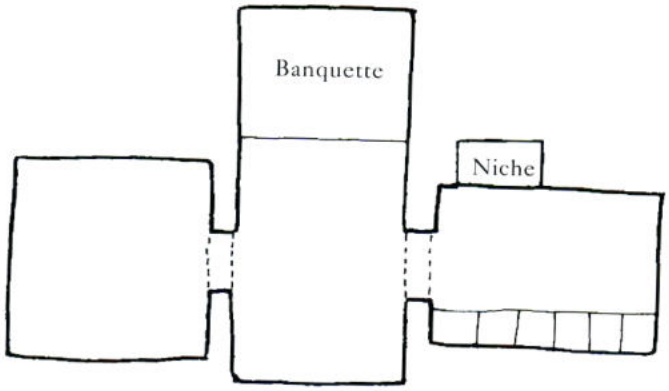

أشكال تبيّن مدافن:

1 – قبر ذو مدخل على شكل بئر و غرفة جنائزيّة

2 – قبر ذو درج و غرفة جنائزيّة

3 – قبر ذو درج وغرفة أوّلية ثمّ الغرفة الجنائزيّة

4 – قبر ذو مدخل على شكل بئر و غرفتين جنائزيّتين

المدينة خلال الفترة الليبية البونية-3-

المعالم الأثرية لمدينة كركوان

تقع المدينة الأثرية كركوان على بعد 12 كم شمال قليبية بتونس. انطلقت أول حفرية خلال سنة 1953، ومازالت بعض أجزاء المدينة تحت الردم لكن المعطيات التي لدينا تساعد على تصور ملامح المدينة في الشكل الذي كانت عليه فيما بين نهاية القرن الرابع والنصف الأول من القرن الثالث ق.م. أقدم المظاهر التي تم تشخيصها يعود للقرن السادس ق.م.

هجرت هذه المدينة على ما يبدو بعد تهديمها من طرف القنصل الرومانيّ أتيلوس ريغولوس سنة 256ق.م.

مخطّط لمدينة كركوان بتونس

1- النسيج الحضري والسكني:

تعتبر مدينة كركوان مثالا هندسيا وعمرانيا فريدا، حيث الشوارع الفسيحة والمستقيمة تتعامد وتصور رقعة شطرنج تتربع بين خطوطها البنايات العمومية و الخاصة. ولقد أثبتت الحفريات أن الشوارع كانت نتيجة تصور مسبق في تخطيط المدينة. وتتخلل هذا النسيج العمراني العديد من الساحات هيئت لتستجيب للحياة الاقتصادية والاجتماعية للسكان كما كشفت البحوث الأثرية الحديثة على سور يحيط بالمدينة تتخلله بوابات وأبراج تفصل الأحياء عن الأموات.

2- الأسوار الدفاعية للمدينة:

نجد سور دفاعي مزدوج، شبه دائري. بين السور الأول و الثاني نجد رواق للتنقل كما نجد أبراج الحراسة و المراقبة و أدراج تؤدي إلى الأعلى للحراسة.

3- الشوارع:

و هي واسعة، متقاطعة و مستقيمة خاصة في وسط المدينة أما في أطرافها فهي غير مستقيمة بل تتبع سور المدينة. متوسط عرضها يتعدى أربع أمتار، تسهل التنقل للمشاة و تحسسهم بالمساحة الواسعة والتهوية. و هي مبلّطة بالحجارة و بها قنوات تصريف المياه. تتقاطع هذه الشوارع لتشكل قطع سكنية أو أحياء.

4- الساحات العمومية:

نجد ساحات عمومية غير شبيهة بالأغورا الإغريقية و لا الفروم الروماني لكنها مساحات مفتوحة على المعالم الأخرى بالمدينة. هناك ثلاثة ساحات متقاربة فيما بينها متواجدة في نفس الجهة من المدينة. كانت تشكل حتما مركز اجتماعي اقتصادي لأن الحفريات كشفت في المكان على العديد من الفخاريات ذات أنواع مختلفة من أنفورات و صحون و كؤوس و غيرها، إضافة إلى قطع نقدية تحمل صورة إلهة من جهة وصورة حصان من الجهة الأخرى، هذا ما يسند فرضية جعل هذه المساحات كأماكن التقاء و تجارة.

5- العمارة السكنية:

أما النسيج السكني للمدينة، فيتكون من مجموعة من الأحياء الفسيحة تتخللها البيوت المتنوعة من حيث أشكالها ومن حيث ثرائها على أن أكثرها تلك التي تتمحور حول فناء بسيط ذات غرف الاستحمام الأكثر رونقا والتي تتركب من معبر صغير يقوم مقام حجرة الثياب ومن حوض حذائي الشكل فيه مقعد للمستحم، فوجود هذه الغرفة الطريفة يثبت مستوى اهتمام السكان بنظافة الجسم وقواعد الصحة.

فهناك منازل بسيطة و أخرى فخمة ذات ملحقات متنوعة كالحمامات و قاعات ذات أرضيات فسيفسائية. المنزل في كركوان يحتوي على مدخل يؤدي إلى رواق أو دهليز منكسر لحفظ المنزل من أنظار العامة. يحتوي الدهليز في بعض الأحيان على مقعد، و جدرانه ملبسة بملاط من الجير، الرمل و بقايا من الفخار المدكوك و ذلك لحمايته، يؤدي غالبا إلى الفناء الذي يحتوي بدوره على مساحة مركزية و أروقة تحيط بها مشكلة بواسطة أعمدة أو دعامات، يحتوي الفناء في أغلب الأحيان على بئر و بداية درج قد يوصل إلى طابق علوي أو إلى السطح. حول الفناء نجد مختلف القاعات المكونة للمنزل. مثل قاعة الاستقبال. هناك من القاعات التي تحتوي على كوات كأنها خزائن مبنية. أرضيات القاعات و الفناء في الغالب مبلّطة بملاط مع قطع من الرخام، الزجاج أو الفخار.

المنازل في كركوان تحتوي على حمام يقع قرب دهليز المدخل و ليس قرب الغرف، وهو مبلّط بفسيفساء. الحمام على شكل كرسي إما واحد أو اثنين و الكل مطلي بملاط وردي اللّون يحتفظ بالماء و نجد حتى حوض صغير لغسل الأيدي (évier).

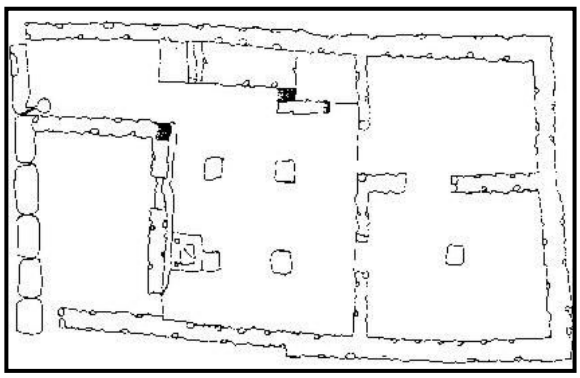

منزل ذو فناء مركزي بكركوان

من المنازل البسيطة نجد ذات قاعتين أو أكثر، مخططاتها ذات عناصر متتابعة أو متسلسلة (الواحد يؤدي إلى الآخر). و هو نوع غير سائد بكثرة في كركوان.

فهناك مثلا الذي يفتح على الشارع بعتبة عالية مشكّلة المدخل الذي يؤدّي إلى دهليز رباعي الشكل يحتوي على حوض استحمام. يوصلنا هذا الأخير إلى الفناء الذي يحتوي على بئر ثم إلى القاعة الوحيدة للمنزل و المقسمة إلى قسمين (مخطّط أ).

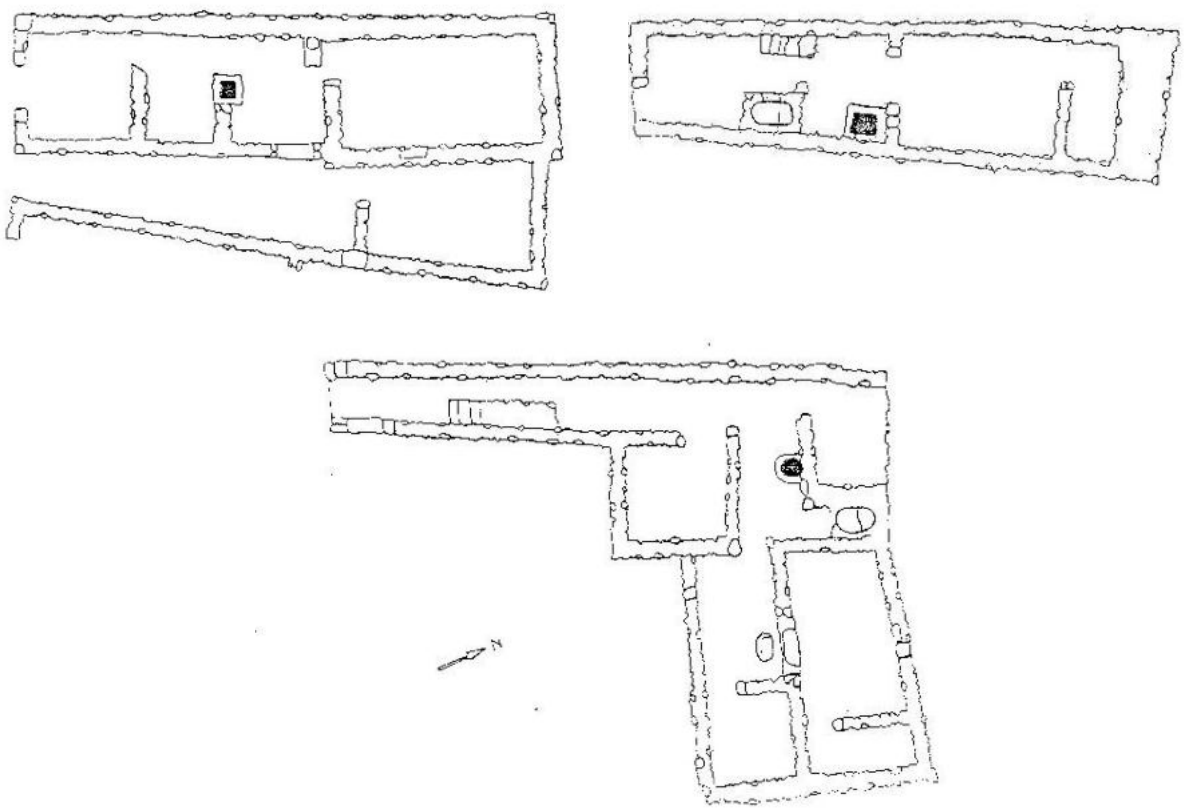

منازل بكركوان (أ، ب و ج)

6- العمارة الدينية:

أغلب المعالم المكتشفة في كركوان عبارة عن منازل. لكن كشفت الحفريات الأثرية عن معبدين أحدهما و أكبرهما، يعتبر من أشهر المعابد البونية في غربي البحر الأبيض المتوسط.

مدخله ذو عمودين أماميين قرب الطريق، يؤدي إلى دهليز رباعي الشكل غير منتظم طول ضلعه 7.5 م2 مبلّط بملاط بتقنية السقنينوم (opus *signinum*)، جدرانه ملبّسة بملاط مكوّن من الجير والفخار المدكوك. يمين هذا الدهليز نجد قاعة مستطيلة الشكل مقاساتها (6 م × 2 م)، تحتوي في جهاتها الأربعة على مقاعد مبنية ملبّسة بملاط أملس من الجير و الفخار المسحوق.

هذا المعبد قائم على ساحة مركزية واسعة تفتح عليها ملحقات المعبد من جهتين، كما نجد بها قاعدتين أو مصطبتين متقاربتين، عاليتين بحوالي 60 سنتمتر عن سطح الأرض تطلان على الساحة. بين القاعة ذات المقاعد و هاتان القاعدتان نجد مذبح منحوت في الحجر. على طول الجناح الأيمن نجد عدة قاعات، الأولى تحتوي في وسطها على فرن. القاعتان التاليتان رباعيتا الشكل غير منتظمة، أحدهما ذات أرضية مبلّطة بعدة طبقات، دون شكّ للقضاء على الرطوبة فيها. الأخرى (المدعوة ورشة)، هي مساحة واسعة جدرانها و أرضيتها مغطاة بنفس الملاط الوردي اللّون الحافظ للماء (عديم النفاذية) و تحتوي هذه القاعة على مركب للمياه، به قاعة مياه، بئر، حوض بقناة لصرف المياه المستعملة.

خلف القاعدتين المذكورتين سابقا نجد مساحة واسعة مفتوحة مقاساتها حوالي (10 م × 8 م)، عثر بها خلال الحفريات على طبقة من الرماد و بقايا عظام حيوانات مع فخار عادي و آخر ذو طلاء أسود، إضافة إلى أدوات معدنية و قطع نقدية. نجد بهذه المساحة بئر عثر به على فخاريات كثيرة كاملة ذات حالة حفظ جيدة. إضافة إلى مخبئ كأنه فتحة بئر مليء بالمصابيح و أقداح (Bols). نجد بهذه المساحة كذلك كومة من الأحجار عالية ب 60 سنتمتر عن سطح الأرض، وجدت تحتها طبقة من الرماد، عظام، قطع فخارية، مذبح نذري، أدوات معدنية ... الخ. وجود هذا الأخير جعل الباحثين يعطون هذا الطابع المقدّس لهذا المعلم. يبدو أن هذا المعبد كان موجّه لعبادة مجموعة من الآلهة، لوجود العديد من التماثيل الفخارية مثل أجزاء لتمثال إلهة قد تكون عشتارت أو تانيت، إضافة إلى رأس رجل بلحية قد يكون بعل حامون، اشمون أو ملكارت، و رأس آخر دون لحية.

7- العمارة الجنائزية:

وجدت بكركوان، حتى الان، أربع مقابر، اثنتين منها متواجدة بالقرب من المدينة في المنحدرمن الشمال و من الجنوب. يبدو أنّ مقبرة الجهة الشمالية، كانت مخصّصة للأطفال الذين دفنو في جرات داخل حفر بسيطة. المقبرة الجنوبية، دفن فيها الكبار و الصغار، لم تقم فيها بعد حفريات علمية منهجية.

8- إشكالية الميناء:

بالنسبة للمدن الساحلية، فرضية وجود ميناء بساحلها تطرح دائما، في حين، حالة الموقع حاليا و الحفريات التي لم تكتمل بعد، لا يمكن الجزم من أن كركوان تحتوي على ميناء. إذا لاحظنا ساحل كركوان فهو عبارة عن صخور، و هو معرّض للرياح و الأمواج القوية. ليس بعيد عن المدينة، خارج أسوارها، من الجهة الشمالية، نجد مكان يمكن له أن يستقبل بواخر صغيرة للصيادين.

9- مواد و تقنيات البناء:

استعملت مواد متنوعة في بناء معالم المدينة، استخدامها يختلف حسب أنواع المباني. قد تكون طين أو تراب، اجر مجفّف أو مشوي، حجارة منحوتة أو غير منحوتة، رخام، بازالت (Basalte)، اوبسديان (Obsidienne)، عجينة الزجاج إضافة إلى الحجر الحثي و الكلسي.

فيما يخصّ تقنيات البناء، فهي الأخرى متنوعة، بحيث نجد استعمال القطع الحجرية المصقولة الكبيرة المشدودة بقطع حديدية بتقنية تعشيقة السنونو (Queue d'aronde). نجد كذلك التقنية الإفريقية (Opus *africanum*) ذات الكتل الحجرية المصقولة التي بينها حجارة صغيرة (الدبش). كما نجد البناء بالتراب.

أما فيما يخصّ الزخارف فنجد الأعمدة و دعامات، التيجان، الكورنيش مستعملة إما في الأفنية أو في الواجهات. كما نجد استعمال زخارف من الجصّ أو الجبس إضافة إلى رسومات مطلية على الجدران. دون أن ننسى الأرضيات الفسيفسائية التي قد تحمل رسم لرمز الإلهة تانيت استعمل للتزيين.

10- **شبكة المياه** بالمدينة متقنة جدا ومذهلة، فالمياه المستعملة في المنازل تصرف في قنوات نحو الخارج في الشوارع، و مياه الأمطار كذلك، إضافة إلى وجود خزانات مياه عديدة و أبار.

11- المتحف:

توجد في المتحف أيضا آثار متأتية من بلدان متوسطية عديدة: من اليونان بالنسبة إلى اللقى الزخرفية ، أوان، مصابيح، إلخ... و من مصر بالنسبة إلى المستلزمات الشعائرية (أختام، تمائم، تماثيل صغيرة للتعبد، إلخ...).

المدينة خلال الفترة الليبية البونية– 4–

مدينتي سيرتا و سيقا (العواصم الملكية النوميدية)

أوّلا _ مدينة قرطن (سيرتا – كرتا):

تقع مدينة سيرتا بنوميديا الشرقية، أي بمملكة الماسيل، و أصبحت عاصمة لنوميديا الموحدة، هذه المملكة التي كانت رقعتها تتربع على شمال الجزائر و تمتد من الناحية الشرقية لتضم كل من السهول الواسعة لمنخفضات مجردة حتى جنوب تونس و تمتد من الجهة الشمالية غرب ليبيا لتضم كل من السرت الأصغر لبدة الكبرى، أما من الغرب فكان يحدها نهر ملوية بالمملكة المغربية ومن الجنوب قبائل الجيتول.

من المؤكد أن تأسيس هذه المدينة محلى لكن نجهل فترة تأسيسها والتطورات التي عرفتها المنطقة حتى أصبحت مدينة ثم عاصمة للمملكة. تشير النصوص القديمة إلى وجود مدينة تدعى سيرتا بمملكة الماسيل، بحيث ذكرت أثناء الحرب البونية الثانية، و منذ هذه الفترة تواصلت النصوص بذكرها، كعاصمة، منذ نهاية القرن III ق.م، للملوك النوميد أمثال سيفاقس، ماسينيسا، أدربعل، يوغرطة، غود، هيمبصال، و أخيرا ليوبا الأول و هذا مابين 203 ق.م إلى 46 ق.م أي لمدة قرن و ستون سنة، و كانت العاصمة الإدارية و الاقتصادية و الثقافية للمملكة النوميدية . و تعتبر من أقدم العواصم الملكية المحلية تمتعت بكل حقوقها و كانت لها كل استقلاليتها كمدينة.

خريطة الممالك النوميدية في 150 ق.م

1-التسمية:

هناك الكثير من الباحثين الذي يرجعون تسمية سيرتا للغة الفينيقية، بحيث يدعونها (كرت) أي مدينة، أو (سرت) أي المكان المدبّب أو رأس الجبل. لكن قبل أن نبحث خارج البلاد عن معاني التسميات عامة، كان يجب البحث عنها أولا في اللغة المتداولة في المكان و هي اللغة الليبية. ففوق عملة سيرتا مثلا نجد أربعة أحرف ظهرت على عملة المدينة، وهي مكتوبة بالبونية الجديدة مؤرّخة بنهاية القرن الثاني قبل الميلاد و هي **(ق ر ط ن)**.

إذ من المؤكد أن اسم المدينة هو (قرطن) أو (تقرط) لأن هذه التسميات مازالت مستعملة في اللهجات المحلية الأمازيغية، هذه اللهجات المنحدرة من الليبية، اللغة القديمة لشمال إفريقيا. بما أن الإنسان قد بدأ يتردد على هذه الصخرة و على الغابات المجاورة لها، و سكن و استقر بمغاراتها منذ آلاف السنين، لا يمكن أن يبقى بدون وصفها بالصفة التي هي عليها أو إعطائها اسما ما، إذ نجد أن جل أسماء المدن أو المواقع فهي مستمدة من وضعية المكان، أو وجود نبتة ما فيه، أو له ميزة يمتاز بها. فسيرتا في اللغة الأمازيغية (النوميدية) تعني (الكهف المهجور).

2-النصوص التي ذكرت سيرتا:

هناك مصادر عديدة و مختلفة ذكرت مدينة سيرتا، منها الإغريقية، اللاتينية، المصادر العربية لبعض المؤرخين الذين زاروها أو الرحالة الذين مروا بها. حتى النصوص التي كتبت باللغة الفرنسية لبعض القادة العسكريين الذين رافقوا الحملة الفرنسية على الجزائر وعلى قسنطينة بالخصوص، وصفوا الآثار الأولى التي عثروا عليها.

يقول " **تيتيوس ليفيوس**" أن هناك بسيرتا قصرا كان لسيفاقس ، ثم ماسينيسا، وكان مسيبسا يدعو الموسيقيين إليه من بلاد الإغريق وتقدم المأكولات في أطباق فضية وسلال ذهبية.

ويؤكد " **سترابون**" أن سيرتا في عهد ميسيبسا، ابن ماسينيسا، كانت تستطيع أن تجند 10.000 فارسا و 20.000 من المشاة، بالإضافة إلى حماة المدينة. يقول أنها كانت محصنة تحصينا جيدا يكتفي محاصرة المضيق الغربي للإستلاء عليها، نستنتج من وصف سترابون لقرطن أنها كانت فوق الصخرة لكن التساؤل هنا أين كانت المساحة التي تأوي كل هذا العدد الهائل من الجيش أما تجنيده فيحتمل انه كان يجند من كل أنحاء المملكة، كما يؤكد لنا أن الصخرة كان ينقصها الماء حتى بني خزانا فوقها. يشير حتما إلى خزان الماء بالقصبة.

أما "**سالوست**"، فيقول أنّ يوغرطا، لما حاصر المدينة، أضطر إلى حفر خنادق حولها و أمر ببناء أبراج حتى يتمكن من الاستيلاء عليها. لو كانت المدينة فوق الصخرة فقط لما أستطاع حفر هذه الخنادق حولها لأن خندق الوادي لا يسمح بذلك.

يقول **الإدريسي** أن قسنطينة يحيط بها الواد من جميع الجهات كالعقد مستديرا بها و ليس للمدينة بداخلها سور بعلو أكثر من نصف القامة، إلا من جهة باب ميلة و باب القنطرة و هي من بناء الروم، و قسنطينة من أحصن بلاد الله. و في داخل المدينة و بالقرب من سورها مسقي يستقون منه ويصرفون به عند أوقات الحصار (قد يكون الخزان الذي أكتشف أثناء بناء النفق) سنة 1985. يقول أنها مبنية على صخرة معزولة على شكل رباعية للوصول إليها لابد للصعود بمشقة و ندخل إليها إلا من بوابة في الجهة الغربية.

أما الرحالة و الجغرافي العربي **البكري** فيقول أنها مدينة أولية كبيرة آهلة ذات حصانة و مناعة و هي على ثلاثة أنهار عظام تجري فيها السفن و هي مدينة الهواء .

أما (**شربونو**)(CHERBONNEAU)، فيقول أن سيرتا لم تكن محصورة فوق الصخرة فقط، بل كانت تتكون من مدينة داخلية و مدينة خارجية، و البقايا التي تواجدت حول الصخرة من أسس للمبني و بقايا لبعض الجدران الملقاة هنا و هناك و المتفرقة ما بين كدية عاتي، و المنظر الجميل، حتى منحدرات حي الشهداء من المحتمل جدا أنها تمثل المدينة الواسعة التي تكلم عنها (سترابون) التي تجند 10.000 فارس و 20.000 من المشاة بالإضافة إلى حماية المدينة بالقلاع المجاورة، و تدل على أن المدينة التي كانت حول الصخرة أوسع بكثير من التي كانت محصورة فوق الصخرة.

3-البقايا الأثرية:

تعتبر سيرتا من أقدم المدن، تتمتع بميزة قلما وجدت، فقد عاشت قرابة 3000 سنة دون انقطاع في نفس الموضع، بدأ أول سكان المدينة بالاستقرار في مرتفعاتها بحثا عن الأمن و تمثلت هذه الأخيرة في مرتفعات المنصورة، جبل الوحش و في مغارات جبل سيدي مسيد أين وجدت العديد من الآثار الشاهدة على تلك الفترة ، ثم أخد هؤلاء السكان يتوسعون و يوسعون رقعتهم بالانتقال إلى الضواحي المجاورة مثل "بكيرة ، تيديس ، الهرية و سيقوس " أين نضجت الحضارة "الميغالتية" و التي خلفت آثار كثيرة في شكل قبور الدولمان (DOLMENS).

استقروا على الصخر العتيق أين قاموا بإنشاء المدينة العظيمة التي كانت محمية طبيعيا بفضل أخاديد الرمال التي سمحت لها أن تتمتع بموضع دفاعي مغري و بذلك شهدت هذه المنطقة تعاقب عدة حضارات جعلت تاريخها حافلا بالبطولات. الآثار و الدلائل تشهد عليها. كفل هذه الحضارات تركت معالم و آثار كثيرة شاهدة على تاريخها العريق. و هي متنوعة و مختلفة منها:

أ- الكهوف (المغارات):

منذ فترة ما قبل التاريخ، استقر الإنسان بالمغارات التي توجد على جدران الصخرة فاستعملها كمأوى طبيعي لفترة طويلة لأنها منحته الأمن من مختلف الظواهر الطبيعية إلى جانب خطر الحيوانات المتوحشة. كما جلبته إلى هذا المكان، غابات سطح المنصورة، غابات جبل الوحش وغابات المسيد. تم العثور على أدوات لمختلف مراحل ما قبل التاريخ من أدوات ساذجة إلى أدوات ميكروليتية و حجرية مصقولة و فخاريات بدائية. و كل هذه الأدوات متواجدة اليوم بالمتحف الوطني سيرتا بقسطينة.

من الكهوف نجد:

كهف الدببة: (Grotte des Ours) يبلغ طوله 60 متر و يوجد بالصخرة الشمالية لقسنطينة.

كهف الأروي: (Grotte des Mouflons) يوجد قرب كهف الدببة و يبلغ طوله 6 متر، و يعتبر كلا الكهفين محطتين لصناعات أثرية تعود إلى فترة ما قبل التاريخ.

مغارة الحمام: (Grotte des Pigeons) توجد هذه المغارة أسفل القصبة قبالة المغارتين السالفتي الذكر، حيث اكتشفت بها العديد من بقايا الحيوانات و الخزفيات.

كل هذه الاكتشافات الأثرية تؤكد لنا تردد الإنسان على هذه المغارات و عاش فيها. بالإضافة إلى كونها مكان الأرواح الخفية. المغارة في اللهجة الأمازيغية هي إفرى، بحيث وجدت عدة مغارات بهذا الاسم، إنها مغارات خصصت للعبادة و منهم مغارة العتروس ومغارة شطابة و التي وجدت على جدرانها هذه الأحرف (G.D.A GIDDABA) و يحتمل أنه اسم الإله، و مازالت المنطقة تسمى تقريبا بهذا الاسم (شطابة).

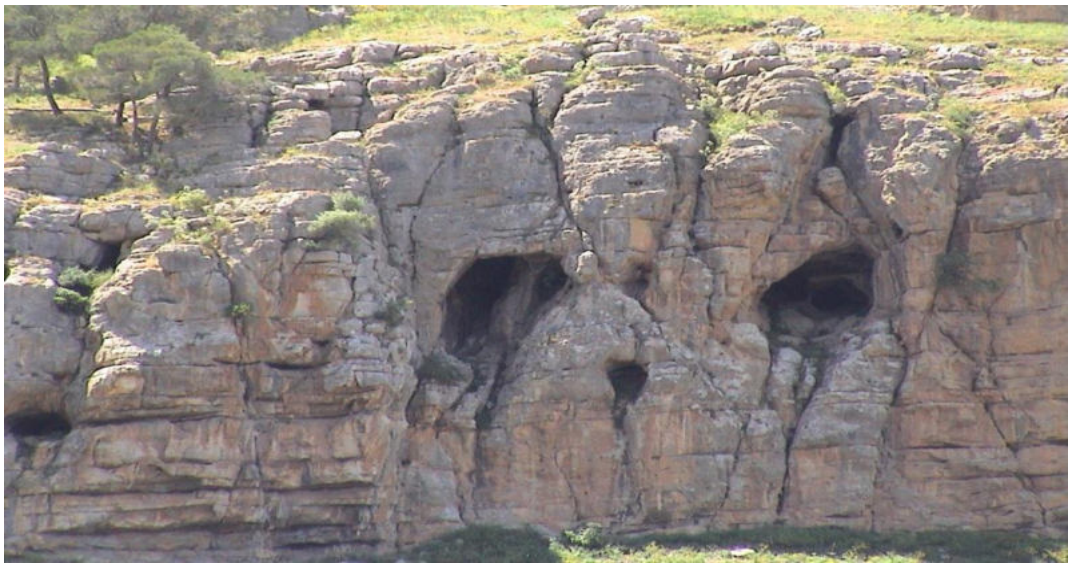

مغارات بقسنطينة

ب- الأسوار الدفاعية:

يقول تيتيوس ليفيوس و سترابون، أنّ المدينة كانت محاطة بسور دفاعي[3]. نجد على أحد عملات مدينة سيرتا، باب المدينة ذو قوسين[4].

أثناء بناء دار البلدية الحالية بالقرب من القصبة، عثر على بقايا لبرج وجزء من سور قد يكون نوميدي و كان يسمى من طرف السكان برج أسوس يحتمل أنه برج الحراسة أي «العسوس » وهذا البرج كان غير بعيد عن المكان الواصل بين الصخرة والأرض و هو المكان الوحيد للدخول إلى الصخرة من الجهة الغربية والمتصل بالأرض، لأن الصخرة محاطة بالوادي من كل الجهات.

[3] (Tite-Live, XXX, 12 Salluste, *Bell. Iug.,* 23, 26).
[4] Mazard, *Corpus,* n° 523

ت- العمارة السكنية:

منذ عهد الملك سيفاكس، كانت مدينة سيرتا تحتوي على قصر، سكنه و زيّنه الملوك الذين جاؤوا بعده، كما ذكر تيتيوس ليفيوس و أبيانوس.

هذا عن النصوص القديمة، بينما المعلومات المادية لا نملك ما يعطينا حقائق عن هذه المباني الملكية. غير أننا نجد بعض مواد البناء أعيد استعمالها في بناء الجامع الكبير بقسنطينة، نجد عمودين دوريين. كما نجد تاج كورنثي منحوت في رخام شمتو أرّخ بالقرن الأوّل قبل الميلاد قد يكون من بقايا القصر الملكي.

فيما يخصّ المنازل، أعطتنا الحفريات معلومات حول قطعة سكنية بالمنطقة من الجهة الغربية للمدينة. وهي عبارة عن منازل تحتوي على قاعتين أو ثلاثة، الواحدة تؤدي للأخرى. كل منزل يحتوي على مدخل واحد. عثر بها على مجموعة من الأدوات الأثرية مثل الفخار البوني و الفخار الكمباني-أ-، مصابيح هلينستية، أجزاء أمفورات رودس، قطع نقدية نوميدية من البرونز، هذا ما جعل تأريخ البناية بنهاية القرن الثالث و بداية القرن الثاني قبل الميلاد. هجر الموقع ثم عمّر ثانية خلال القرن الرابع ميلادي.

ث- المعابد:

أشهر المعابد بسيرتا هو معبد الحفرة و هو المعبد الملكي. أكتشف بيه 1005 نصب، على مراحل عديدة أما الاكتشافات الأخيرة سنة 1950 فقد إعطانا 700 نصب، وبهذه الاكتشافات أصبحت سيرتا تعد الثانية بعد قرطاج من حيث عدد الأنصاب التيبيّنت لنا أنه المعبد الملكي للعاصمة النوميدية.

إضافة إلى معبد الحفرة تبيّن أن هناك معبد نوميدي بني على أنقاضه معبد روماني. فأثناء تهدم الجزء الشمالي من المدينة ظهرت آثار وبقايا من المعبد النوميدي تحت المعبد الروماني، منفكة عن بعضها البعض، وهذا تأكيدا لتواجد السلطة النوميدية فوق الصخرة لأن المعبد دائما يكون بمحداة السلطة.

فبهذا تثبت لنا الآثار وجود مكان العبادة فوق الصخرة و بما أن **المعبد** لابد أن يكون بمحاذاة القصر الملكي. من المحتمل أن المعبد والقصر و بعض السكنات القليلة بنبت فوق الصخرة، أما باقي المدينة فكان على ضفتي الوادي، مما أدى بالرومان إلى جلب الماء إليها ومده عبر قنوات، و مازالت آثار هذه القنوات حتى الآن.

ج- المعالم الجنائزية:

كانت مقابر أهالي المدينة على قدر كبير من الفخامة تقع بقمة سيدي مسيد في المكان المسمى نصب الأموات، كما كشفت قبور أخرى تقع تحت كهف الدببة و أخرى ناحية بكيرة شمال شرق المدينة كما توجد مقابر أخرى بمنطقة الخروب بالمواقع المسماة خلوة بوحجر، قشقاش و كاف تاسفة ببونوارة حيث تسجل المقبرة الميغاليتية لهذه الأخيرة ما بين 3000 و4000 دولمان غير أن عددا كبيرا منها تعرض للتلف و الاندثار.

نجد مقابر أخرى تعود إلى الفترة النوميدية البونية مثل مقبرة **المنصورة** في الجنوب و مقبرة **المسيد** في الشرق. و من الجهة الجنوبية الغربية نجد مقبرة **كودية العاتي** التي استعملت خلال كل المراحل من النوميدية حتى التركية، مرورا بالرومانية.

قبر الدولمان

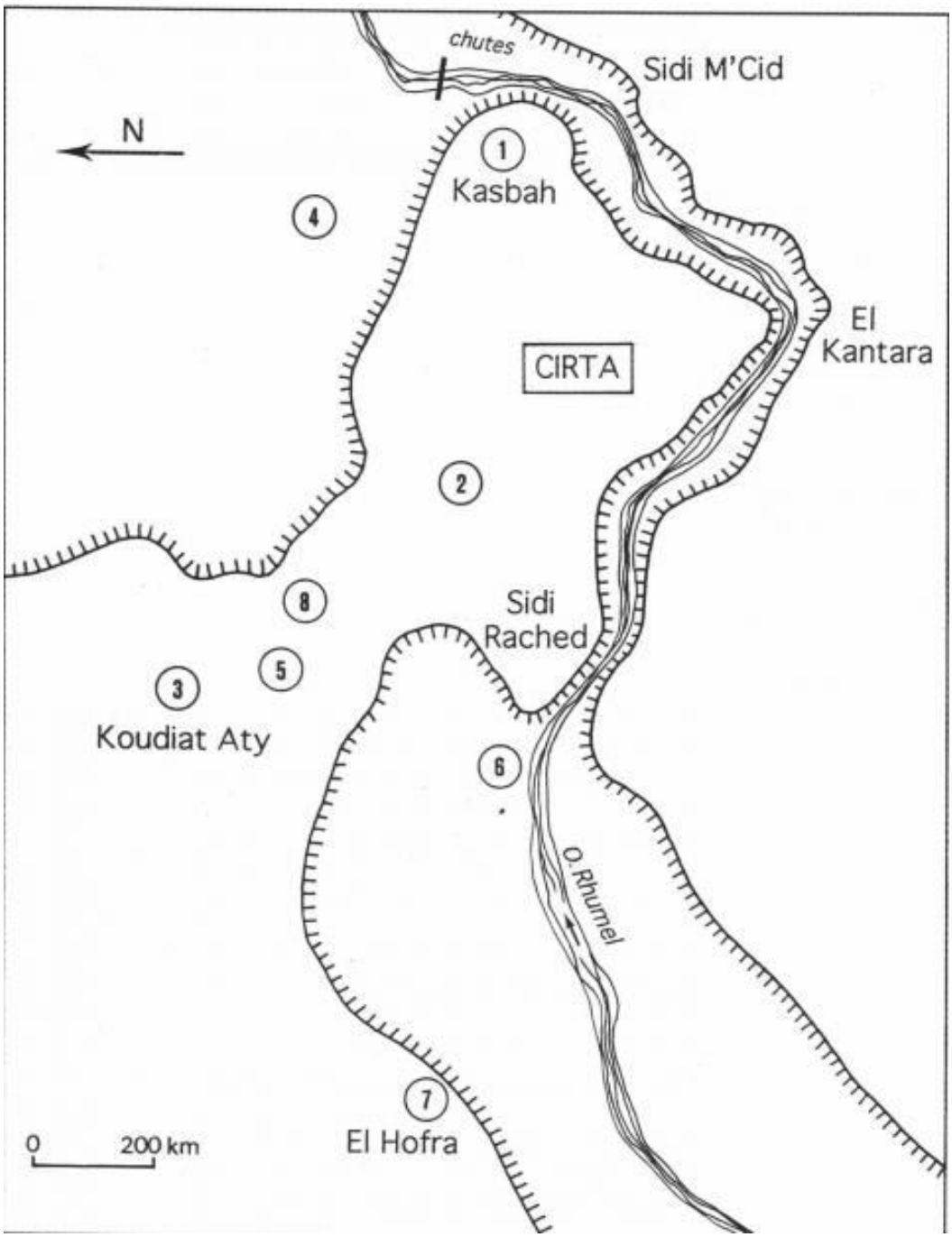

بعض المعالم الأثرية بقسنطينة

إضافة إلى المقابر نجد الأضرحة الجنائزية مثل ضريح الخروب، المدعو ضريح ماسينيسا. يقع ببلدية الخروب على بعد 16 كلم عن مدينة قسنطينة ، بني في مكان عالي لاعتقاد النوميديين أنه أقرب إلى الآلهة كما أن الملوك و الأمراء في تلك الفترة كانوا يدفنون في أماكن عالية قبالة العاصمة التي يحكمونها، بني في النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد.

يعتبر طرازه المعماري مزدوجا إفريقي بوني. يتخذ الضريح شكل مستطيل بني على شكل مدرجات، يبلغ طول المدرج الأرضي 1.90 م. يتكون من ثلاثة صفوف حجرية، و لقد ظلت معالمه مجهولة حتى بداية أشغال التصنيف و الأبحاث به سنة 1915.

ضريح الخروب بقسنطينة

إضافة إلى كل هذا، هناك خزانات المياه و مطامير لجمع المئونة. فالمحصول الزراعي يخزن في الأماكن الآمنة و جماعيا في **مطامير** و هذه المطامير لا توجد إلا في الأماكن الصخرية مثل صخرة سيرتا، يقول الإدريسي في هذا الشأن أن سكان قسنطينة كانت لهم مطامير" في كل دار منها مطمورتان وثلاث و أربع منقورة في الحجر" . و يقول البكري أن بها **خزانات الحبوب** نثرت في الصخرة، و يمكن أن تحفظ بها الحبوب مدة قرنا من الزمن بدون أن تتلف.

أما عن المياه فهي قليلة فوق الصخرة، ما عدا الجيوب المائية سواء كانت طبيعية أو من صنع الإنسان أي **الخزانات**. وهذه المياه غير كافية لتموين مدينة كاملة.

ثانيا _ سيقا العاصمة الغربية لنوميديا:

تقع مدينة سيقا في ولاية عين تموشنت، دائرة بني صاف. على بعد 4 كلم من البحر و بمحاذاة وادي التافنة على هضبة تكمبريت الواقعة على بعد 80 كلم غرب مدينة وهران، و على بعد 13 كلم من عين تيموشنت. تقع مدينة سيقا عاصمة مملكة المازيسيليين فوق هذه الهضبة.

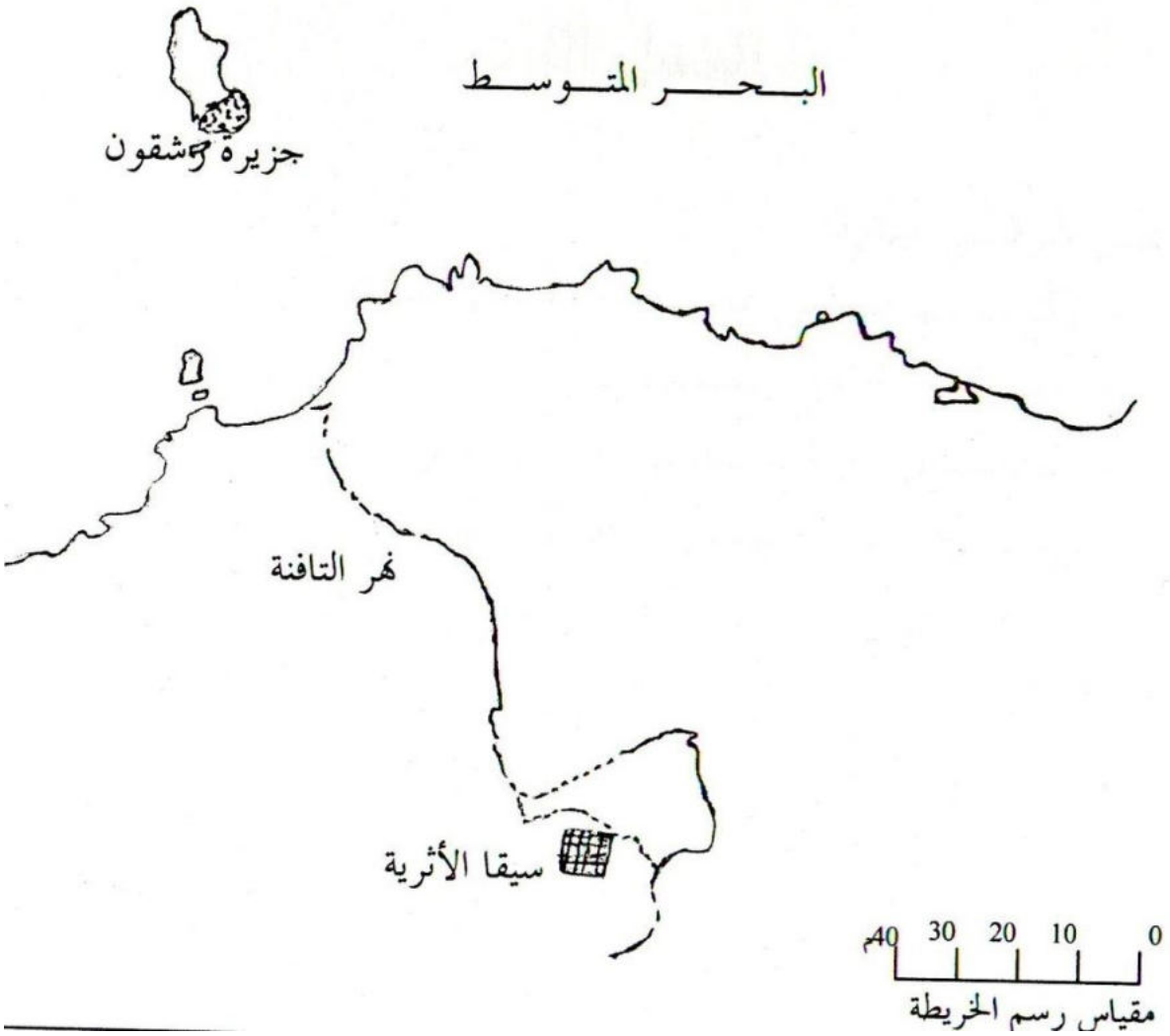

حسب المؤرخ الروماني تيتيوس ليفيوس كانت مدينة سيقا في سنة 206 ق.م بين أيدي الملك سيفاقس. كانت معروفة منذ القرن الرابع ق.م. حيث ذكرها الرحالة سكيلاكس (Scylax) يرى بعض الباحثين أنّ هذه المدينة نشأت بعد ظهور تجمع سكاني قرطاجي صغير على جزيرة رشقون ثم نقل فيما بعد إلى اليابسة على ضفاف وادي التافنة حيث عثر علماء الآثار خلال التنقيبات الأثرية على أمفورات بونية أرخت بالقرن الخامس ق.م. و مباشرة فوق تلة تاكمبريت قرب هذا الموقع بنيت سيقا المدينة النوميدية. إن اسم هذه المدينة ضرب على نقود الملك سيفاقس.

كان بها مرفأين أحدهما **بحري**، الثاني **نهري** ترسو فيه السفن و القوارب القادمة من البحر بحيث اكتشفت آثاره في سنوات الخمسينات على ضفاف نهر التافنة شمال المدينة فهذا النهر كان صالح للملاحة.

يقول **البكري** في كتاب المسالك و الممالك أن سيقا كانت تدعى أرشغول خلال العصور الوسطى

قال: "و مدينة أرشغول على نهر تافني يقبل من قبلتها و يستدير فيها ، يدخل فيه السفن اللطاف من البحر إلى المدينة وبينها ميلان و هي مسوّرة ".

ذكرت كذلك في**(كتاب الاستبصار لكاتب مجهول)**": مدينة أزلية فيها أثار كبيرة و هي على نهر تافنا، وهو نهر كبير تدخل فيه السّفن اللّطاف" .

جزيرة رشقون:

جزيرة رشقون « المدينة الجزيرة » ذكرها سكيلاكس تحت اسم أكرة. إن الحفريات التي أجريت منذ سنة 1952 بهذه الجزيرة قد عثرت على أثار مقبرة و تجمع سكاني أرخا بين القرن السابع و السادس قبل الميلاد، فالمقبرة المتواجدة شمال الجزيرة وجد بها 114 قبرا.

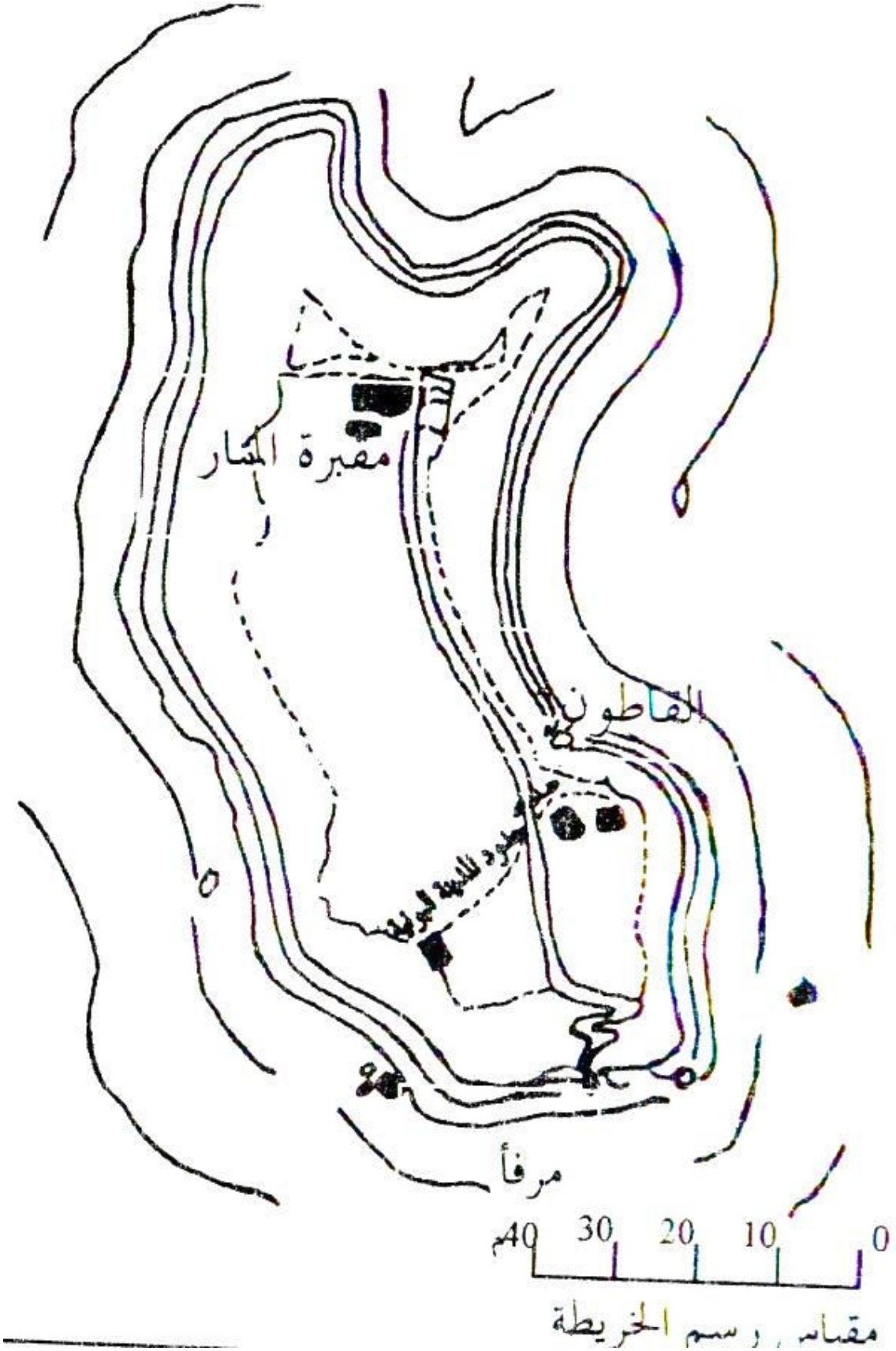
مقبرة المكار
القاطون
مرفأ
40 30 20 10 0
مقياس رسم الخريطة

العمران و السّكن في المغرب القديم

كان الإنسان يختبئ في المغارات أو فوق الأشجار لحماية نفسه من التّغيّرات الطبيعية و الحيوانات المفترسة، فالإنسان بطبعه محتاج للإحساس بالأمان. فكّر في بناء أكواخ يلتجئ إليها. ثمّ في إضافة عناصر أخرى لمسكنه هذا بحيث أخذ يطوّره شيئا فشيئا من شكل دائري إلى مربّع و مستطيل، ومن غرفة واحدة إلى اثنين ثمّ أكثر، حتى أصبح يبني القصور المحصّنة بعد أن اكتشف مواد بناء أصلب و أمتن من الحطب والطين و القشّ، بحيث أصبح يبني بالحجر و الأجر. بهذا مرّ المسكن بفترات عدّة.

المسكن عبارة عن مساحة مبنية، تنفتح من جدرانها نوافذ و مداخل تفصل سكانها عن العالم الخارجي, يحتوي غالبا على مساحة داخلية إما فناء، قاعة أو دهليز، تنفتح إليه كل العناصر الأخرى للبيت، فهي بهذا موجهة إلى الداخل مشكلة مساحة مغلقة تحسّس السكان بالأمان.

لمّا اكتشف الزراعة، بدأ الإنسان يفكّر في بناء مسكن له لأنّه مضطرّ للسّكن قرب أرضه، فاستأنس الحيوانات و استقّر في مكان واحد، وبدأ يبني أكواخ من الأغصان و أوراق الشّجر و النّباتات مثل أعشاش الطيور، فالطّير يستعمل هذه المواد و يضعها و يدور حول نفسه ليتحصّل على الشّكل الدّائري. بهذا فانّ **المسكن الأوّل كان دائري الشّكل**.

مميّزات هذا المسكن البدائي

- **كان وحيد الخليّة** (أي ذو غرفة واحدة)، لأنّه موجّه لإيواء أسرة واحدة (فردين أو ثلاثة) لا فاصل بينهم. كما أنّ إمكانيات إقامة المسكن كانت قليلة.

- **كان دائري الشّكل،** لأنّه كان أسهل للبناء. كما أنّه الشّكل الدّائري وضيفي، بحيث أنّ الاستدارة تسهّل النّشاط.
- **سقفه ذو قبّة بشكل قمعي،** لتوزيع ثقل السّقف على الجدران.

ثمّ أضاف عناصر أخرى لمسكنه هذا بحيث أخذ يطوّره شيئا فشيئا من شكل **دائري إلى مربّع و مستطيل،** ومن **غرفة واحدة إلى اثنين ثمّ أكثر.** من اللّواحق التي أضافها، نجد مكان للموقد، مكان للحيوانات، مكان لخزن المئونة...الخ.

بهذا عرف **التّخطيط** و عرف عناصر مختلفة مثل المدخل، البهو الذي يوزّع المرافق المختلفة للمسكن كالبيت الرئيسي والمطبخ و الملحقات الأخرى.

مواد البناء

بعد أن كان يستعمل **الأوتاد الخشبية** التي يغرسها في الأرض، ثمّ **يشبّك الأغصان** لبناء كوخه ثمّ يلبّس الجدران بالطّين، عرف **اللّبن الطيني** الذي كان يصنعه بنفسه وذلك بخليط من الطين و التبن و الماء، الذي يضعه في قوالب خشبية ليتحصّل على اللّبنات، و عندما تجفّ يبني بها جدرانه بحيث يضع طبقات من الطين بينها كملاط. يستعمل الحجارة في بناء الأسس لأنّها أمتن و أصلب ثمّ يكمّل بقيّة الجدار باللّبن الطيني. لكن الجدران المبنية باللّبن الطيني لا تتماسك لوقت طويل، لهذا فيجب أن تجدّد دوما.

استعمل في البناء كذلك **الحجارة و الأجر** التي كانت أمتن و أصلب من الحطب، الطين و القشّ و اللّبن الطيني و بهذا طوّر مسكنه حتى أصبح يبني القصور المحصّنة بعد أن اكتشف هذه المواد الصلبة و المتينة.

مواقع فترة **ما قبل التاريخ** التي كشفت عنها الحفريات بشمال إفريقيا، أعطت لنا فقط حصى، آثار مواقد، أسلحة...الخ. بينما أسوار و أسقف المساكن لم تصمد للعوامل الطبيعية،

لأنها كانت من مواد زائلة، اختفت مع الوقت. لذا لم تعطي لنا مكوّنات هذا المسكن و لا العناصر المعمارية المكونة له.

هناك بعض الأمثلة القليلة منها بعض البقايا الأثرية لقرية في جنوب شرق موريطانيا ، و هي مجموعة من المساكن على القمم و المنحدرات تعود إلى الفترة **النيوليتية.** أغلبها ذات **شكل دائري أو بيضاوي**، و ذات مقاسات مختلفة. تتخلل جدرانها فتحة أو اثنتين غالبا ذات عتبة، وهي مشكلة في الغالب **من قاعة واحدة.** المنازل و المخازن موزّعة في ساحة يتواجد بها الفخّار و أدوات الطّحن بجانب أدوات حجرية. وفي بعض الأحيان مواقد على شكل أقواس دوائر مشكلة بحجارة مسطحة.

خلال الفترة **الليّبية البونية**، هناك مساكن متفاوتة الإتقان؛ من الأكواخ البسيطة حتى المنازل المتطوّرة ذات الأفنية ، ذات الأعمدة، و العناصر المعمارية المتنوّعة.

1 – الأكواخ:

إضافة إلى ما أوصله لنا الكتّاب القدامى عن هذه الأكواخ التي كانوا يدعونها **مباليا**[5]، فانّ الحفريات الأثرية قد أعطتنا أمثلة عن هذا النّوع من المساكن.

هي منازل خاصّة بالفقراء، تتكوّن من غرفة واحدة، الجدران من الطّين، و السّقف من أغصان الأشجار سمّاها المؤرّخون **مباليا.**

أما عن الشواهد المادية، فخلال حفرية بيار سانتاس (P. Cintas) على شواطئ **الأندلسيات** بوهران، عثر على أكواخ احدها مكوّن من قاعتين صغيرتين متتابعتين ، جدرانها من الدّبش وهي ملبّسة بالجبس، و أرضيتها من التراب المدكوك. القاعة الأولى أوسع من الثانية، تحتوي على نافذة مستطيلة الشكل تبعد بحوالي متر عن الأرض، طولها حوالي 0.30

[5] يحدّثنا هرودوت عن المساكن المتنقّلة لليبيين الرّحل و مساكن الحضر الذين يدعوهم بالمزارعين. و قد درس قزال أقوال هرودوت، ويرى أن هذه المنازل قد تكون مباليا ثابتة أو أكواخ من الأغصان و القصب، ربما ملبّسة بالطين أو قد تكون منشآت مبنية.

م. عثر بيار سانتاس بهذا الكوخ على مجوهرات و قطع نقدية تعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد، و هو تاريخ الفترة الأخيرة لاستغلال الكوخ.

هناك مثال آخر دائما في وهران بمنطقة **مرسى المدّاح**. فخلال حفرية فويمو(G. Vuillemot)، عثر على كوخ آخر مستطيل الشّكل يتكون من قاعة واحدة ، مقاساته حوالي (6 م × 3.50 م) ، جدرانه من الدّبش الخام غير المصقول موصولة بالطّين كملاط ، و هي ملبّسة بالطين كذلك من الدّاخل. أما أرضيته فهي من التراب المدكوك. أرّخ هذا الكوخ بحوالي القرن السّادس قبل الميلاد.

2 – المنازل البسيطة:

احتك سكّان شمال إفريقيا بشعوب عدّة تأثروا بهم و أثّروا فيهم. و ذلك التأثير والاحتكاك جعل مساكنهم تتبنّى بعض العناصر التي أصبحت ضرورية جدا في حياتهم اليومية كملحقات المياه والحمامات و المطابخ... الخ.

المنازل البسيطة متفاوتة الإتقان و التقنية والمساحة. منها التي تحتوي على قاعة حتى ثلاثة قاعات موضوعة إما في قطع سكنية أو بالقرب من المنازل المتطّورة.

ففي المنحدر الجنوبي لهضبة برصة، نجد (حيّ حنبل) يحتوي على عدّة **قطع سكنية** مقسمة بشوارع متقاطعة في زوايا قائمة تجمع **وحدات سكنية** ذات نفس المخططات تقريبا. مساحتها صغيرة، بعضها ذات فناء مركزي صغير. جدرانها ذات تقنيات مختلفة من الدّبش مكمّلة بالأجر غير المشوي. أرضياتها ذات مكعبات فسيفسائية إما بيضاء أو ذات ألوان عدّة مرمية دون ترتيب من الرّخام أو من الطّين المشوي. قد تكون الأرضيات كذلك من التراب المدكوك أو من الحصى الصغيرة جدا المغطّاة بطبقة من الجبس.

أعطتنا مدينة **كركوان** التي تعود إلى مابين القرن السادس و الثالث قبل الميلاد، نماذج متنوعة. تتميّز هذه المدينة بقطع سكنية ذات أشكال و مقاسات مختلفة و غير منتظمة بها مساكن متفاوتة الأشكال و الأحجام.

من المنازل البسيطة نجد ذات قاعتين أو أكثر، مخططاتها ذات عناصر متتابعة أو متسلسلة (الواحد يؤدي إلى الآخر). و هو نوع غير سائد بكثرة في كركوان. يفتح المنزل على الشارع بعتبة عالية مشكّلة المدخل الذي يؤدّي إلى دهليز رباعي الشكل يحتوي على حوض استحمام. يوصلنا هذا الأخير إلى الفناء الذي يحتوي على بئر ثم إلى القاعة الوحيدة للمنزل و المقسمة إلى قسمين.

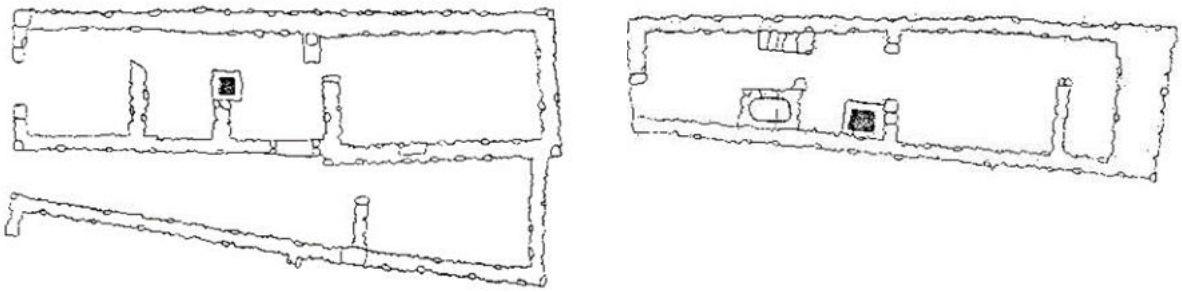

منازل بكركوان

هناك منازل مشابهة لهذه الأخيرة، في قطعة سكنية عثر عليها على منحدر هضبة بضواحي قسنطينة.أسوار هده القطعة السكنية من الدبش، و لا وجود لقرميد بالموقع يدفع بالضّنّ أن السقف كان من مواد خفيفة زائلة. أرّخت بنهاية القرن الثالث قبل الميلاد و ذلك بالاستناد إلى المقتنيات التي عثر عليها في الموقع من فخّار، حديد، عظام، و قطع نقدية.

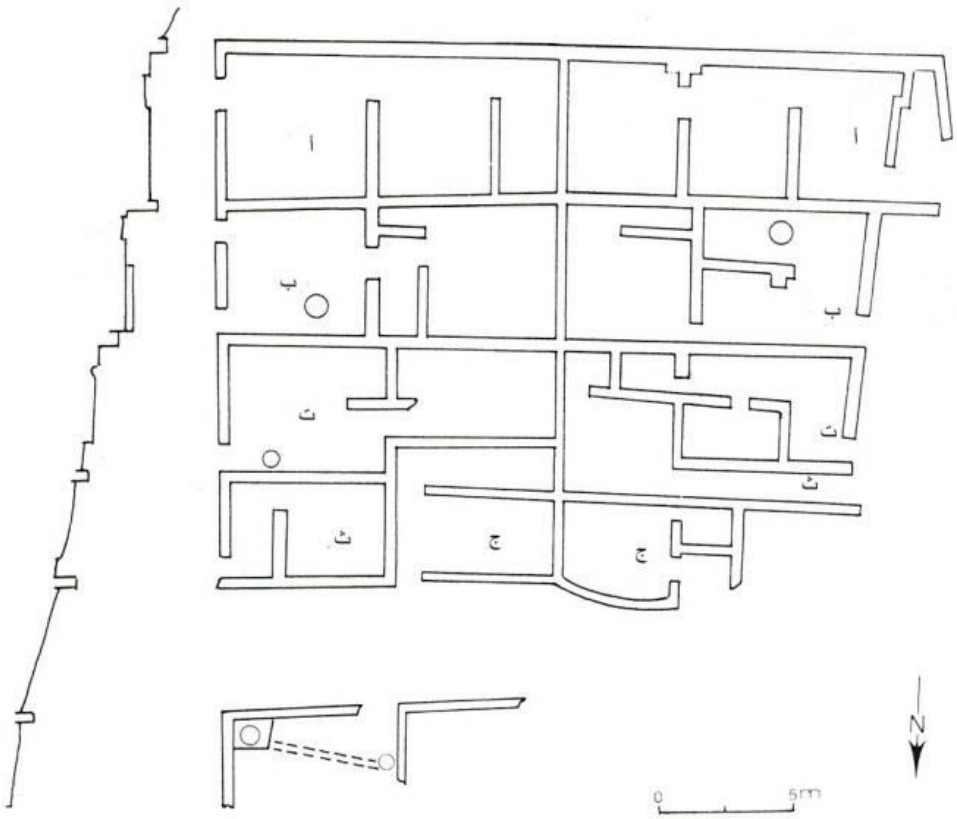

قطعة سكنيّة بقسنطينة

3 – المنازل المتعدّدة الطبقات

خلال الفترة الليبية البونية كانت قرطاجة تحتوي على منازل كثيرة متعدّدة الطوابق، بحيث يقول **أبيانوس** أنّ هناك ثلاثة شوارع تصعد من السّاحة العامّة إلى برصة و قد بني على طول الجانبين منازل قريبة من بعضها ذات ستّة طوابق.

4 – المنازل المتطوّرة:

هذا النوع من المنازل أفخم مما ذكرناه سابقا إما من حيث العناصر المعمارية أو المساحة. فهناك آثار لمنازل فخمة ذات مخططات واسعة مراكزها أفنية ذات أعمدة في قرطاجة و كركوان و غيرهما. فالعتبة تكون غالبا عالية تؤدّي إلى دهليز منكسر لحماية قلب المنزل

من الأنظار الخارجية، من هذا الأخير نصل إلى الفناء الذي يزوّد المنزل بالنّور و الهواء، و يحتوي على بئر، و به كذلك درج يؤدي إلى طابق علوي أو سطح، و القاعات الأخرى تحيط بهذا الفناء

كما نجد فيلات ريفية مثل المتواجدة بضواحي قرطاجة تكون ذات فناء أو فنائين. و قد تحتوي على معصرة أو ملحقات حرفيّة...الخ. قد تكون أرضيتها فسيفسائية.

منازل كركوان كذلك تنوّعت و أعطت لنا مخططات لمنازل ذات فناء مركزي أو فنائين تحيط به مختلف الغرف. اضافة إلى الدهليز، نجد قاعة الماء المتكوّنة من غرفة الملابس و حوض استحمام على شكل كرسي.

من خلال هذه المعطيات المتنوّعة عن مخططات مسكن الفترة الليبية البونية، نستطيع أن نقول أن مسكن هذه الفترة يحتوي على نفس العناصر المعمارية تقريبا غير أنها لا تكون موزّعة دوما بنفس التشكيلة، لكن تبقى نفسها في الكثير من المخططات إذا استثنينا طبعا المنازل ذات قاعة واحدة أو قاعتين و التي لا تحتوي على فناء.

فالعتبة تكون غالبا عالية تؤدّي إلى دهليز منكسر لحماية قلب المنزل من الأنظار الخارجية، من هذا الأخير نصل إلى الفناء الذي يزوّد المنزل بالنّور و الهواء، و يحتوي على بئر، و به كذلك درج يؤدي إلى طابق علوي أو سطح، و القاعات الأخرى تحيط بهذا الفناء.

المــوانـئ

الميناء عبارة عن منشئة ساحلية تقام على سواحل البحار و المحيطات، أو الأنهار، أو البحيرات، يتم فيها تفريغ وتحميل السفن و تحتوي الموانئ في الغالب على الأرصفة والمخازن ومرافئ للسفن.

فالميناء عبارة عن حوض مغلق و هو ملجأ للسّفن بعيدا عن الرّياح و الأمواج.

أسس الفينيقيون سلسلة من المستوطنات على طول الشّريط السّاحلي الإفريقي و الأوربي و قد أقاموا علاقات تجارية مع السكّان المحلّيين منذ القرن الثاني عشر ق.م وقد استخدم الفينيقيون طريقين:

- **طريقاً شمالياً، بمحاذاة الشواطئ الجنوبية لصقلية وسردينيا وجزر البليار**
- **وطريقاً جنوبياً، بمحاذاة ساحل شمال إفريقيا**

فأنشئوا مرافئ لتبادل البضائع .لطول هذا الساحل، يمكن أن نستنتج احتمال أنّ المراس التي استخدمها الفينيقيون، قريبة من بعضها البعض.

البعض من هذه المراسي أصبحت موانئ كبيرة ثمّ مستوطنات شهيرة.

<u>اختيار الموقع</u> :

بما أنّ الطريق البحري طويل إلى الأسواق الجديدة فالفينيقيون بحاجة إلى الحماية نظراً لظروف الملاحة الصّعبة في العصور القديمة، لهذا يجب أن تحاذي سفنهم الساحل وتلقي مراسيها أو تسحبها في الليل إلى الشاطئ. استغلوا الظروف الطبيعية مثل الرؤوس و الخلجان و الجزر الشاطئية و قاموا بتجهيز المكان بوضع كاسرات الأمواج.

عندما تكون **الجزر شاطئيّة** و قريبة من الساحل، تبنى المساحة التي تفصل الشاطئ بالجزيرة بوضع إضافات و كاسرات الأمواج للتّحصل على مرافئ. حتى أنّ تسميات المستوطنات التي تحتوي على جزر تبدأ بكلمة (إي) التي تعني جزيرة. مثل إيول (شرشال)، ايكوزيم (الجزائر العاصمة)، ايجلجلي (جيجل).

أما في **الرؤوس** (كلمة روس ساميّة تعني الرّأس) أي الألسنة الصخرية التي تدخل في البحر أو المحيط تشكّل خلجان يمكن الرّسو فيها على كلا الجانبين، مثل روسيكاد (سكيكدة)، روسوكورو (دلس)، روسدير (مليلة) بالمغرب الأقصى، روسقونيا (تمنفوست) شرق الجزائر العاصمة، روسازو (أزفون).

في أغلب الأحيان لا نجد أيّ أثر لهذه الموانئ لأنّها مبنيّة بمواد زائلة سهلة التّلف مثل الخشب.

أنواع الموانئ :

عرفت المدن تطوّر المرافئ البحريّة و النّهريّة، إضافة إلى المرافئ الاصطناعية.

الموانئ البحريّة:

تحتوي المدن الساحلية على مرافئ بحرية تكون محمية في الخلجان من الأمواج و التيارات البحريّة، أو تجهّز الصخور و الجزر الشاطئية لتصبح موانئ بإنشاء كاسرات الأمواج.

الموانئ البحريّة

نجد أمثلة كثيرة للموانئ البحرية:

مثل ميناء **تيبازة**، الذي شكّل في المكان الذي تتواجد فيه جزيرتين قريبتين من الشاطئ، مثل ما هو موضّح في المخطّط الموالي.

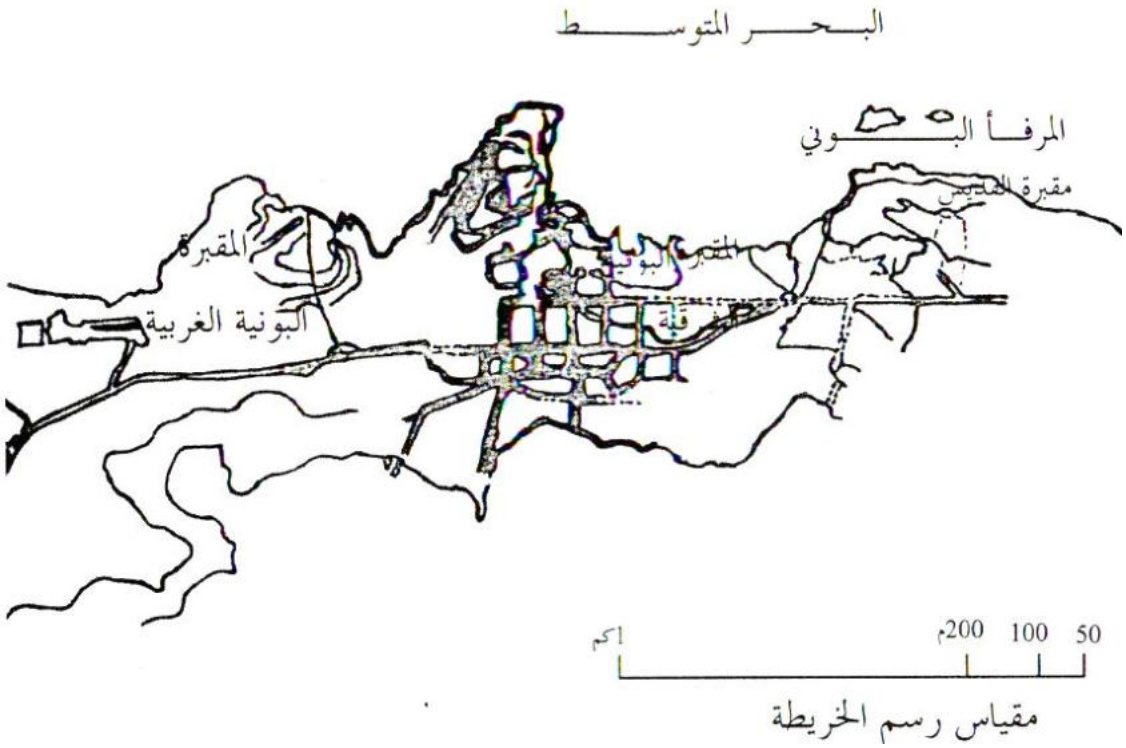

المرفئ البوني بتيبازة

نجد مثال آخر و هو ميناء **شرشال (ايول)**، الذي يظهر في المخطّط التالي، به جزيرة شاطئيّة ضمّت إلى الشاطئ للحصول على ميناء.

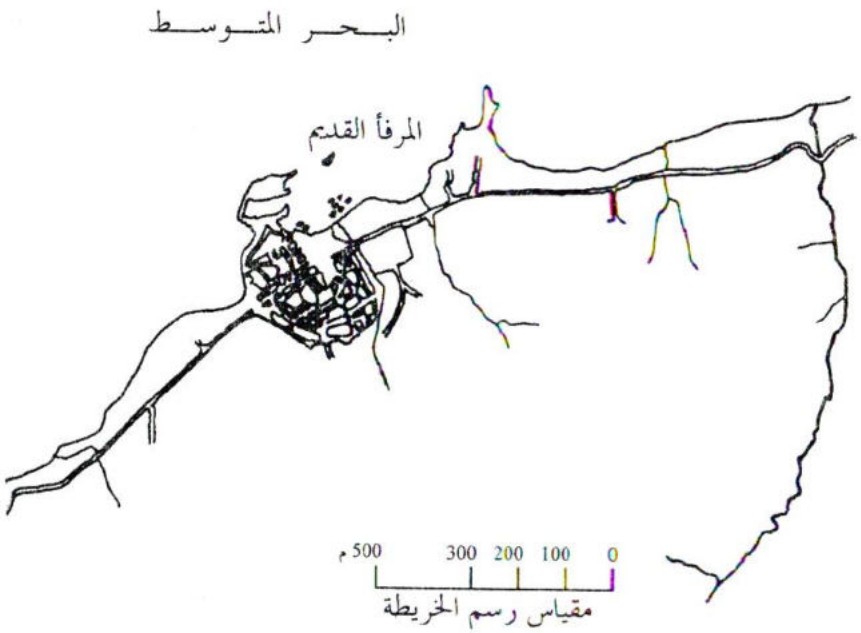

ميناء شرشال

إضافة إلى **الجزائر العاصمة (اكوزيم)** التي كانت تحتوي على عدة جزر شاطئية قريبة من السّواحل و هي ملتصقة حاليا بالميناء. هو موقع استراتيجي لتأسيس مستوطنة فينيقيّة.

نجد كذلك **جيجل (اجلجلي)**، وهي عبارة عن شبه جزيرة عثر بها على عدّة آثار بونية من بينها مقبرة بونية مؤرّخة ما بين القرن السادس و الرابع ق م.

إضافة إلى الموانئ البحرية، نجد هناك **بحيرات صالحة للملاحة** مثل بحيرة تونس و بحيرة بنزرت بتونس، بحيث تدخل السّفن من البحر إلى هذه البحيرات التي لديها منفذ إلى البحر.

الموانئ النّهريّة:

نجد المرافئ النّهرية في المدن القائمة بجوار الأنهار الطّويلة و الممتدّة في مسافات طويلة للاتّصال و نقل البضائع. ويجب أن لا تكون بها الشلالات و لا الانكسارات.

نجد بعض الأمثلة للمدن التي تحتوي على مرافئ نهريّة، مثل **مدينة سيقا** عاصمة مملكة الماسيسيليين، التي تقع فوق هضبة تكمبريت على بعد أربعة كلم من البحر و بمحاذاة وادي التافنة. كان بها مرفأين، أحدهما بحري، و الثاني نهري ترسو فيه السفن و القوارب القادمة من البحر بحيث اكتشفت آثاره في سنوات الخمسينات على ضفاف نهر التافنة شمال المدينة، و النهر صالح للملاحة.

يقول البكري في كتاب المسالك و الممالك أن سيقا كانت تدعى أرشغول خلال العصور الوسطى، قال:

"و مدينة أرشغول على نهر تافني يقبل من قبلتها و يستدير فيها ، يدخل فيه السفن اللطاف من البحر إلى المدينة و بينها ميلان و هي مسوّرة ".

و في كتاب الاستبصار لكاتب مجهول، نجد مايلي: " مدينة أزلية فيها آثار كبيرة و هي على نهر تافنا، و هو نهر كبير تدخل فيه السّفن اللّطاف".

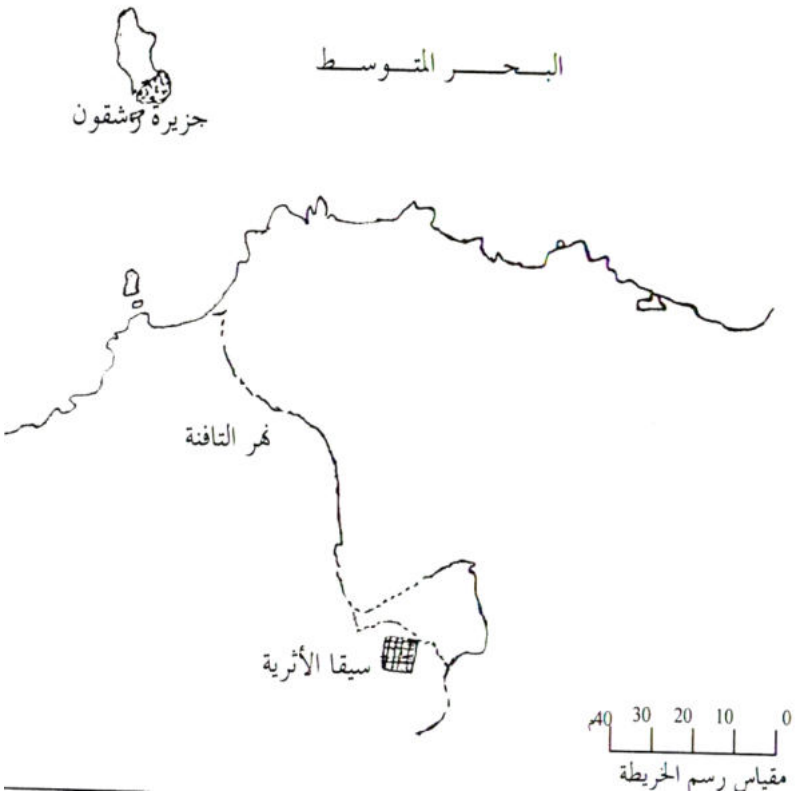

مدينة سيقا و نهر التافنا

هناك أمثلة أخرى مثل مدينة طبرقة بتونس، بحيث يقول عنها مؤلّف كتاب الاستبصار أنّها " مدينة قديمة فيها آثار كبيرة للأوّل و هي على نهر كبير بقرب البحر تدخل منه السّفن إلى باب المدينة".

مدينة أوتيكا كذلك، فيها ميناء يطلّ على واد مجردة، ذو تخطيط دائري يشبه ميناء قرطاجة، له فتحات كبيرة، بسيط النّمط، أرصفته من التّربة المدكوكة، فيه معلم ذو تقنية هلنستية–بونية. أرّخ هذا الميناء بالقرن الثالث قبل الميلاد.

في الرّباط بالمغرب الأقصى، نجد أنّ الفينيقيون اتخذوا مصب نهر أبي رقراق كميناء تجاري لهم، إلى أن أقام الرومان حامية عسكرية بموقع سالا المتواجد في الضّفة الأخرى للنّهر.

بالمغرب الأقصى دائما، نجد مدينة ليكسوس التي كانت تحتوي على ميناء نهري، بحيث تدخل اليه السّفن من المحيط الأطلسي.

الموانئ الاصطناعيّة:

اشتهر البونيون بهذا النّوع من الموانئ بحيث أنّهم كانوا يحفرونها في الأرض. ويدعى هذا النّوع بالكوطون أو القوطون. وصلتنا هذه التّسمية من طرف الكتاب القدامى. قد تكون هذه التسمية، ساميّة الأصل أي جاءت من كلمة "قطن" بمعنى (صغير) أو من الكلمة "قطّ" بمعنى (قطع).

هناك أمثلة كثيرة لمدن بشمال افريقيا تحتوي على هذا النّوع من الموانئ. نجد أن البكري قد تحدّث عن مدينة المهديّة بتونس بحيث يقول: " و هي مرفأ لسفن الإسكندرية و الشام و الأندلس و صقلية و غيرها. و مرساها منقور في حجر صلد يسع ثلاثين مركبا، على طرفي المرسى برجان بينهما سلسلة من حديد فإذا أريد إدخال سفينة فيه، أرسل حراس البرجين أحد طرفي السلسلة حتى تدخل السفينة ثم مدها كما كانت بعد ذلك لئلا يطرقها مراكب الروم".

جزيرة رشقون القريبة من شاطئ سيقا، و التي ذكرها سكيلاكس في رحلته تحت اسم أكرة، تحتوي على ميناء اصطناعي (كوطون). هذه « المدينة الجزيرة »، كشف فيها على أثار مقبرة و تجمع سكاني أرخا بين القرن السابع والسادس قبل الميلاد.

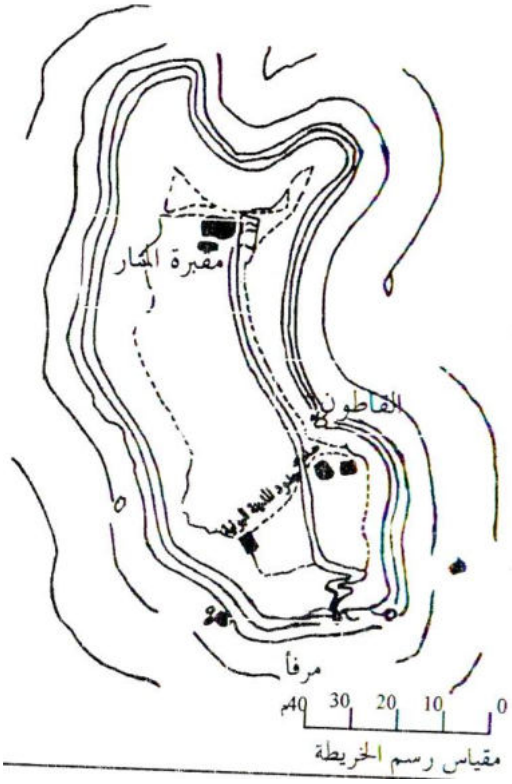

جزيرة رشقون

أحسن مثال عن الموانئ القديمة، و الذي حضي بدراسات كثيرة هو **ميناء قرطاجة** الذي حدّثنا عنه الكتّاب القدامى. و هو يتكوّن من جزأين. تشير الكتابات القديمة أن الجزأين متّصلين فيما بينهما بممر تعبر منه السفن من ميناء إلى آخر، و لها مدخل واحد من البحر يقدّر عرضه بحوالي ثلاثة و عشرين مترا، يغلق بسلاسل حديدية.

و قد كان المرفأ الأول المستطيل مخصّصا للسفن التجارية، بينما خصّص المرفأ الثاني المستدير للسفن الحربية، و عرف بالمرفأ الحربي.

فأما التجاري (المستطيل) يبلغ طوله حوالي أربع مئة و ستة و خمسين مترا و عرضه ثلاث مئة و خمسة و عشرين مترا. و أما الحربي (المستدير) أي الداخلي، يحيط به رصيف طول محيطه ألف و واحد و عشرين مترا، به حجرات لإيواء مائتين وعشرين سفينة. و خصصت الجزيرة لإسكان أمير البحر.

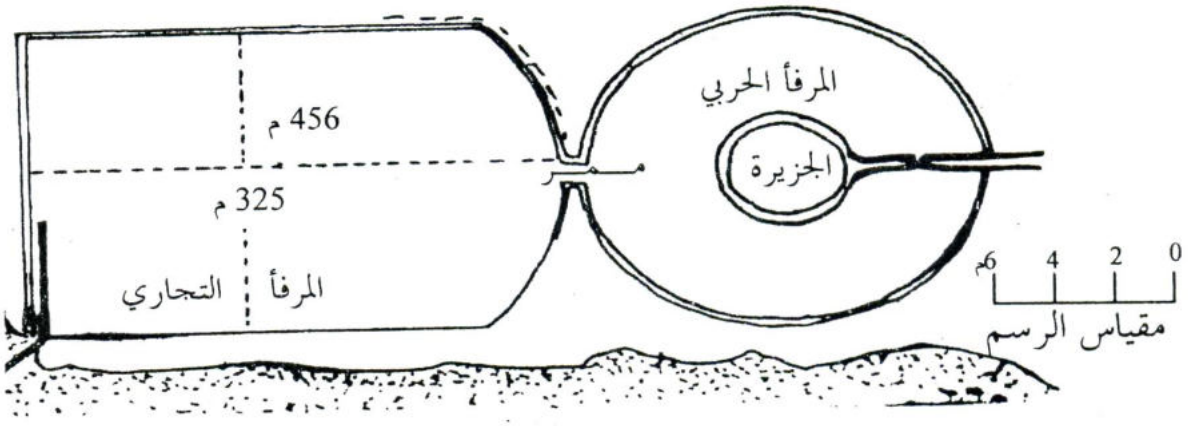

ميناء قرطاجة

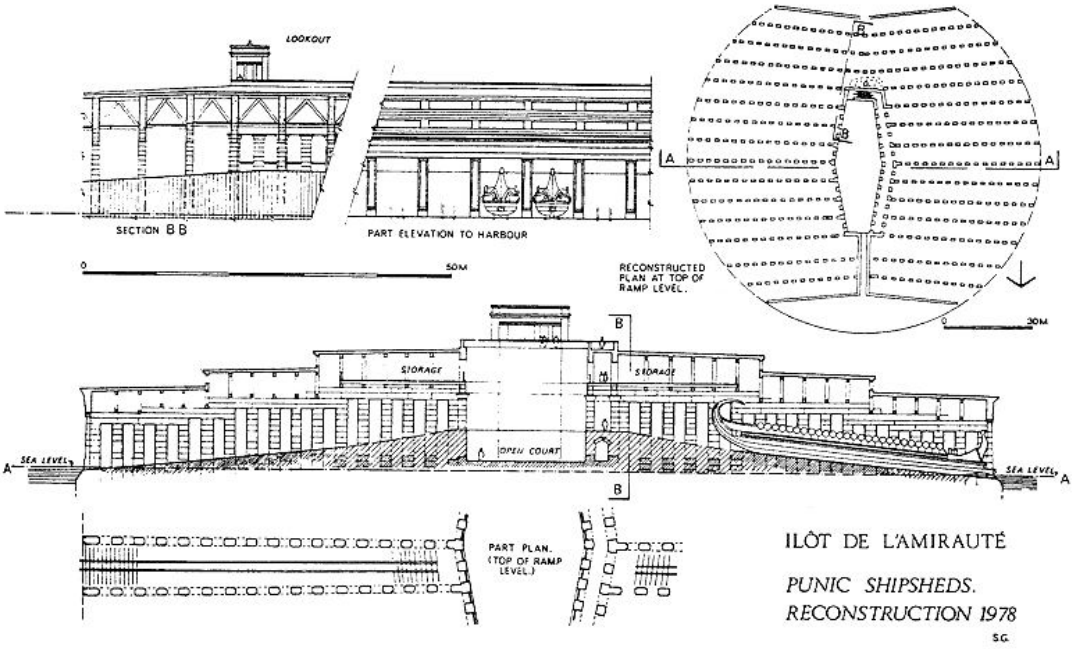

الميناء الدائري خلال الفترة البونية حسب الأثريين البريطانيين

لعب العامل الاستراتيجي دوراً مهماً في تقدم بعض هذه المواقع بالمقارنة بمواقع أخرى، وما يلفت الانتباه، أن ثلاثة مواقع من أهمها: قرطاجة، وأوتيكا في شمال إفريقيا وموتيا في صقلية كانت كلها تتمتع بمواقع ممتازة على الممرات الضيقة من شرق إلى غرب البحر المتوسط، وتسيطر على كل من الطرق الشمالية والجنوبية.

العمارة الدّينيّة 1

أحسّ الإنسان بأن الوجود والعالم تم إيجاده بشكل غير طبيعي عن طريق شخصيّات فوق-طبيعية(Surnaturelles) تدعى الإله أو الخالق أو الرب.

بحيث أنّه عبد النار و النجوم و الريح ... الخ قبل أن يسيطر على هذه القوى الطبيعيّة و بالتالي فإنّ إحساسه بعدم الأمان هو ما يولّد لديه الشعور بالحاجة الى وجود خالق.

يسعى الإنسان دوما لإرضاء هذه الآلهة كي لا تغضب منه، لأنّه متأكد من أنّها هي التي تعطيه الخيرات أو تقطعها عنه. فهو ملزم بعبادتها و التّقرّب إليها بتقديم البكور[6] لها كي لا تغضب منه. و تقدم القربان و الأضاحي بالمعابد.

المعابد:

المعبد هو مكان يتعبّد فيه الأشخاص وهو بيت الإله، تجرى فيها طقوس تعبّديّة كبيرة تختلف من معبد لآخر و من اله لآخر. أعطت لنا النّصوص البونية تسميات للمعبد، مثل:

- " ب ت" بالبونية أي بيت مثلا (بيت بعل)
- "م ك م" أي مقام
- "د ر" أي دار
- "درت" لأنّ الطقوس غالبا ما تقام بالدّوران
- " ك د س" و تعني المكان المقدّس
- "م ز ر" و تعني مزار

[6] البكور: الشّيء الأوّل الذي تنتجه أرضه من حبوب و خضروات و فواكه، و حتّى المواشي و الحيوانات و في بعض الأحيان حتى الأولاد

المعبد أساسا هو مكان مقدّس مبني أو غير مبني، أكثرها تقام في الأماكن العالية و المرتفعات مثل ما كان يفعل الكنعانيين، فوق التّلال و الرّبوات.

تشغل أمكنة العبادة هذه :

- **ساحة** رحبة مربّعة الزوايا و مسطّحة

- يحيط بها **جدار**

- يقوم في داخله **المصلى** الذي يحتوي على **صورة الإله**.

اتّخذ هذا المصلّى منذ مطلع القرن 4 ق م هيئة معبد يوناني كلاسيكي صغير، لكنه في البداية مستوحى من الأبنية المصرية المدعوّة ناووس.

و الناووس هو مصلى مكعّب مبني بالحجارة الضّخمة في أغلب الأحيان، يعلو واجهته الرّئيسية إفريز و زخارف مختلفة.

بالإضافة إلى ذلك، يقوم داخل السور حوض التّوضؤ. كما نجد، **مذبح** أو عدّة مذابح مرتفعة عادة لكي يتمكّن المؤمنون من متابعة الذّبيحة. و تتصل بالسور أيضا مواضع خاصة بالكهنة.

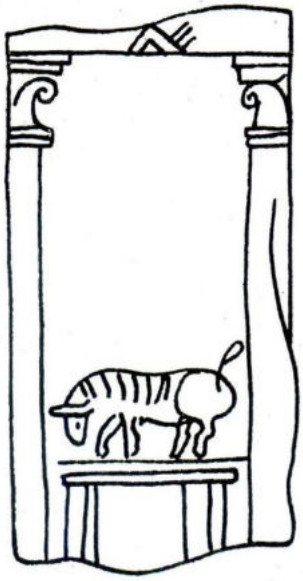

أنواع المعابد:

هناك معابد <u>مبنية</u> و أخرى <u>غير مبنية</u>

و هناك ثلاثة أنواع من المعابد المبنية :

- المعبد الذي يحتوي على مصلّى
- المعبد الذي يحتوي على ثلاثة مصلّيات أو أكثر (متجانبة)
- المعبد ذو القاعات المتتالية (ثنائي أو ثلاثي القاعات)

1-المعبد ذو المصلّى:

المعبد يحتوي على مصلّى مبني لكن لا يحتوي على سقف، يكون إما في الوسط مثل معبد فولبليس أو في العمق (صدر الساحة) مثل معبد ليكسوس.

معبد **فولبليس** بالمغرب الأقصى، يحتوي على مصلّى مبني في الوسط و قربه المذبح كما أنه يحتوي على قاعات تحت الأرض.

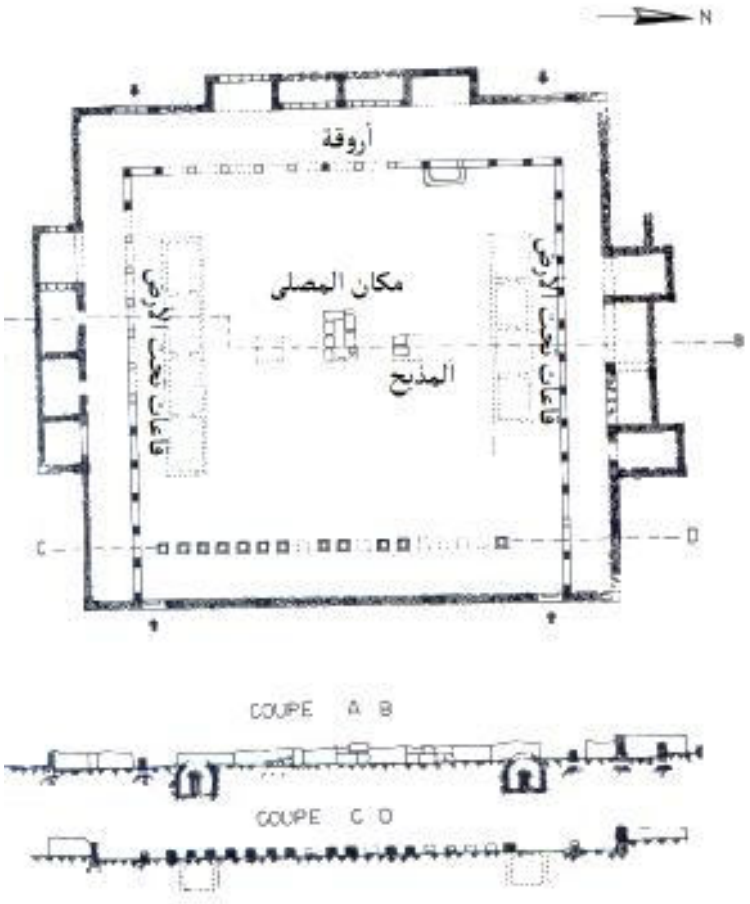

2-المعبد ذو المصلّيات المتجانسة (المتجانبة):

المعبد متعدّد الآلهة، يحتوي على ثلاثة مصلّيات أو أكثر و تكون متجانبة. نجد معابد ذات ثلاثة مصلّيات في حيدرة و دوقة بتونس و كذا في هيبون. و نجد مصلّيات متعدّدة في معبد سالا و بنازا بالمغرب،...الخ.

معبد سالا يتكوّن من خمسة مصليات متجانبة و قاعات خلفية جزء من الساحة مبلّط ببلاط حجري هذا المعبد مؤرّخ بالقرن الأوّل ق م

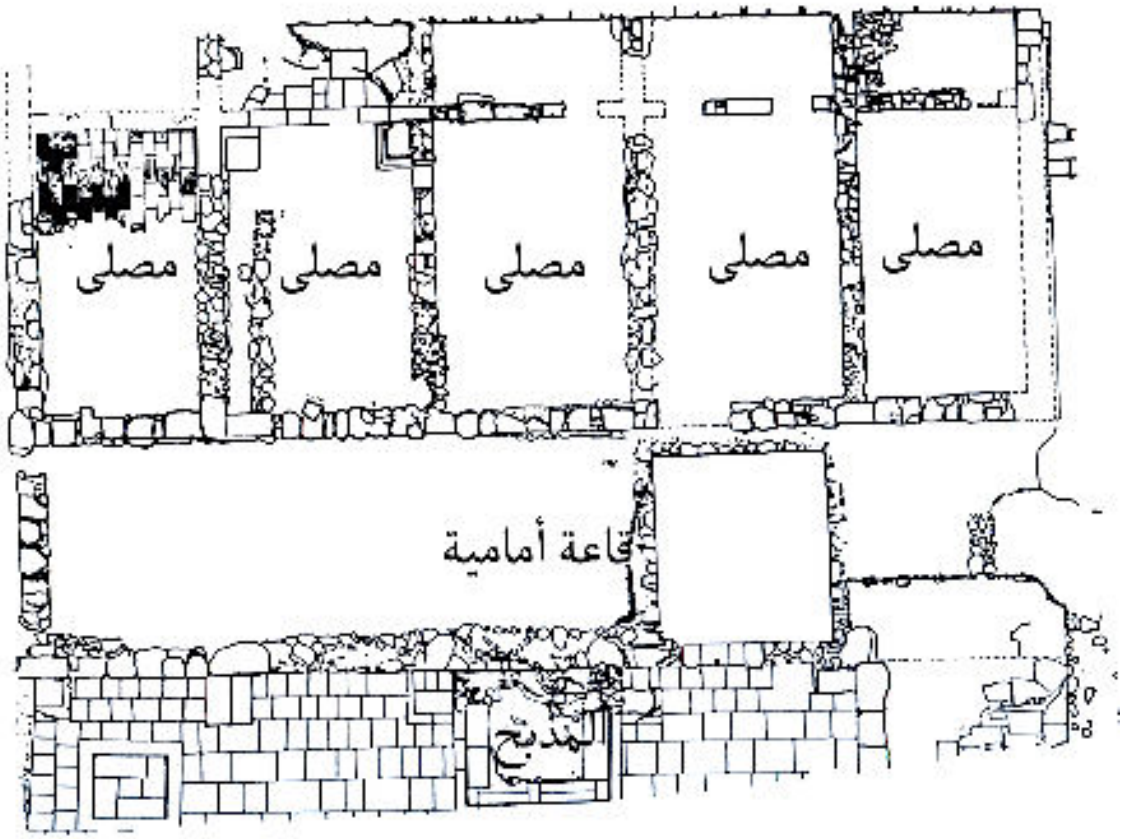

3-المعبد ذو القاعات المتتالية:

هذا النّوع من المعابد ينقسم بدوره إلى:

ثنائي القاعات: هذا المعبد يحتوي دائما على مصلى داخل الساحة، لكن هناك قاعة أمامية تسبق المصلى و على جانبيها عمودين. مثل معبد تبوربومايوس بتونس.

ثلاثي القاعات: هذا المعبد يحتوي على ثلاث قاعات مثل معبد سيدي بوسعيد بتونس.

معبد سيدي بوسعيد

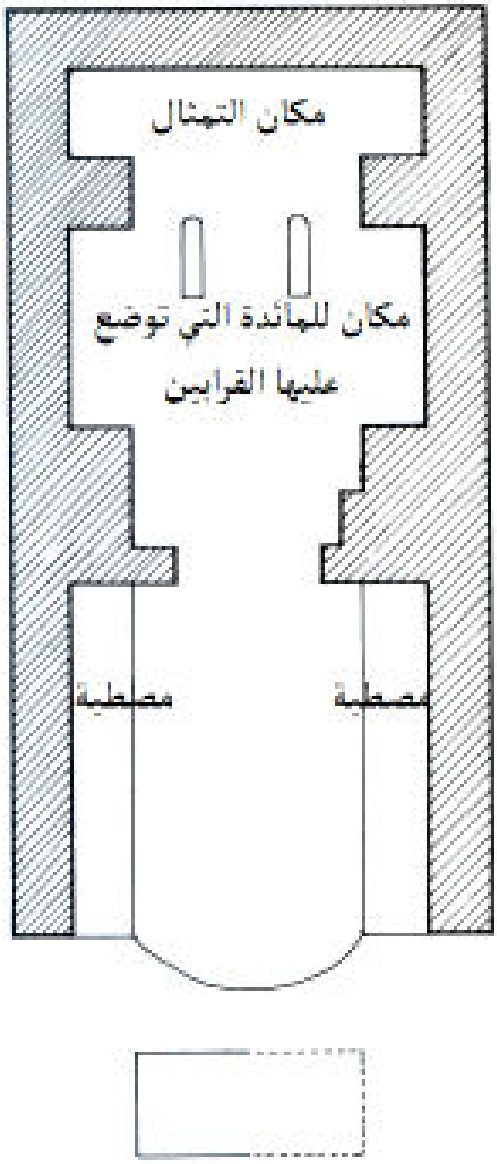

الجانب الزخرفي للمعابد:

المرحلة الأولى قبل القرن الخامس ق م:

نجد فيها الرموز الدينية و الزخرفية متأثرة بالشرق بحيث نجد تأثيرات مصريّة و فينيقية تمثّلت في الجانب المعماري و الزخرفي و الرّمزي. بحيث نجد الواجهات المعماريّة للمصلّيات، تكون مسطّحة في الأعلى.

الباب مستطيل الشّكل به عمودين على شكل مضلّعين. فوقهما النّضد الذي يحمل غالبا حنية في الجانبين و هي الحنية المصريّة. فوقه إفريز فيه قرص الشّمس في الوسط غالبا ما تكون ذات جناحين (رمز آمون رع). و أحيانا نجد صفّ من الثعابين على الإفريز، فهي من توابع الإله بعل حمون.

المرحلة الثانية بعد القرن الخامس ق م:

فيها نجد المعابد دخلت عليها **التّأثيرات الإغريقية** التي تتمثّل في بعض الجوانب المعماريّة و الزّخرفية.

بدل أن يكون العمودين على شكل مضلّعين، أصبحا أسطوانيين ذات **تيجان أيونيّة أو دوريّة بسيطة**، مثل معبد تبوربومايوس بتونس.

اختفاء القرص الشّمسي المجنّح و يظهر **القرص الشّمسي البسيط** على واجهة معبد بعل حمون. ثمّ أصبح الرّمز يحتوي على **هلال من فوق القرص** و هو رمز الإلهة تانيت.

أصبحت المعابد خاصّة بالإلهين معا.

- خلال القرن الثالث يتغير الرّمز ليصبح **الهلال تحت القرص**.
- و بدأت تظهر **الواجهة المثلّثية** و هي من تأثير إغريقي.
- و نجد قرنين غالبا على الجانبين (acrotère) .
- هناك عناصر أخرى زخرفيّة ذات تأثير إغريقي و هي الأفاريز المشكّلة باللآلئ و القريصات و كذلك القلوب و المسنّنات.
- وهناك زخارف أخرى على الأفاريز مثل الزهور أو التّعليقات النّخليّة.

من الصّعب جدا الالمام بالمعابد الليبية–البونية و الفينيقية– البونية، لأنها تتواجد في الطبقات الأثرية السفلى تحت اثار معابد الفترة الرومانية.

الكهنة :

كانت الطقوس تقام بواسطة الكهنة. تدعى في الكتابات البونيّة باسم "كوهن" و جمعها "كوهانيم" و يدعى رئيس الكهنة " ربّ كوهن" نجد كذلك الكاهنات في بعض الطّقوس، حتى أنّ الكثيرات منهنّ حملت لقب رئيسة الكهنة.

وردت ألقاب دينية أخرى كأمير الكهنة و كهنة من المرتبة الثانية و أزواج عشتارت و غيرها.

الوظائف الدينية العليا كانت غالبا وراثية مثل سائر الوظائف المدنية الرفيعة.

تمتّع الكهنة ببعض الامتيازات الأساسية و بالتّأثير الحقيقي و لكن يبدو أنّ سلطتهم لم تتجاوز حدود العبادة.

و يدور في فلك الكهنة عدد من الأشخاص التّابعين منهم **الحلاّقون المقدّسون** و **الموسيقيين** و **حملة المصابيح** و غيرهم.

بعض الكهنة يكرّسون حياتهم للمعبد و لا يتزوجون. الكاهن يحلق رأسه و لحيته و يرتدي رداء صوفي طويل و مزيّن بعصابة مطرّزة، و أثناء الطقوس يكون حافي الرّجلين.

العمارة الدّينيّة 2

الديانة:

الديانة السائدة قديما في شمال إفريقيا هي الوثنية و تعددت الآلهة بها، و لها ارتباط كبير مع الظواهر الطبيعية والمعيشيّة والخصب.

أخذت العقائد الدينية جانب هام في حياة السكان و نجد آلهة الخصب خاصّة هي التي أخذت مكانة عليا فهي ذات علاقة مع الظواهر الطبيعية و المعيشيّة للسّكان من حيث الإنتاج الزّراعي المهمّ جدا في حياتهم.

كان الليبيون يعتقدون بوجود قوى تستطيع مساعدتهم و حمايتهم من القوى الشريرة (عسّاس).

أما عن الالهة فيمكن القول أنها كأغلب الهة شعوب البحر المتوسط، اذا قارننا خصائصها وقواها و فضائلها لكن تحت أسماء مختلفة.

فكل شعب أو منطقة لديها مثلا آلهة الخصب أو بالأحرى إلهة الخصب، أمّ و مربّية، التي تعطي الحياة و تحفظها حتى الحيوانية و النباتية منها، حامية العائلة. نجد مثلا الإلهة تانيت عند الليبيين لديها نظيراتها عند الشعوب الأخرى مثل إيزيس عند المصريين، هيرا عند الاغريق، عشتارت عند الفينيقيين، جينون عند الرومان.

يقول هيرودوت أن الليبيون القدماء كانوا يعبدون الشمس و القمر و يقدمون لها القرابين والأضاحي.

يقول: "يقدم الليبيون القرابين الى الشمس و القمر دون غيرها. و الى هاتين القوتين الالهيتين يقربن كل الليبيين و يقدمون الذبائح، الا الذين يستقرون حول بحيرة تريطونيوس فهم يقربنون الى الإلهة أثينا و تريطون و بوصيدون" .

هذه الاشارات التي يقدمها هيرودوت تقر بوجود وحدة دينية تجمع بين كل الليبيين مع عدم نفي وجود خصوصيات محلية.

أثينا : اسم للإلهة الاغريقية، إلهة الحكمة و الحرب و الزواج و النبات و حامية الدولة و ضامنة الانصاف و العدالة. و هي من الالهة الاثني عشر في الأولمب. في العهد الروماني نقل الرومان خصائصها للإلهة مينرف. هذه هي الإلهة الاغريقية، لكن ما محل أثينا عند الليبيين؟

يذكر هيرودوت قائلا: « أما أثينا فانهم يقولون انها كانت ابنة بوصيدون و البحيرة التريطونية» (هيرودوت، IV، 180)

تريطون: هناك جدل كبير حول هذا المعبود، هل هو اغريقي أو ليبي؟ من المعروف، أنّ الاغريق يعترفون بأنّ هذا الإله غريب عن بلاد الاغريق، و كان مقره البحر. و حسب الأسطورة فانه ابن بوصيدون إله كل البحار و عروسة البحر أمفتريت. و نظرا لهذه العلاقة، و انطلاقا من أنّ بوصيدون اله ليبي حسب هيرودوت، فإنّ تريطون يمكن اعتباره بدوره ليبياً .

بوصيدون: عند الاغريق، هو اله البحار، المياه، الجداول و الزلازل. و هو ابن كرونوس و قايا و أخ زوس. شغلت قضيته الكثير من الأذهان في تفسير عبادته و أصله. خاصة أنّ هيرودوت يقول أنّ الاغريق لم يعرفوا بوصيدون الا على يدّ الليبيين .

التأثير و التأثر:

أثر الليبيون و تأثروا بعدة شعوب اما جيرانهم أو شعوب انتقلت لتسكن أراضيهم بطريقة سلمية أو حربية و ذلك في كل المجالات خاصة منها الدينية. مثل جيرانهم **المصريين** أو **الاغريق** الذين سكنوا بعض المستوطنات في الجهة الشمالية الشرقية لليبيا أو **الفينيقيين** الذين سكنوا بعض المستوطنات شمال غرب ليبيا. و حتى **الرومان** الذين توسعوا في مناطق عدة في الأراضي الليبية.

العلاقات مع الشعوب المجاورة:

الاله المشترك الاكثر شهرة هو الاله امون، يرى بعض الباحثين أنّه اله ليبي الأصل، أصبح عند المصريين (أمون رع). عبده اغريق قرينة ليعطي (زوس امون) نجد أكبر معبد له في جزيرة سيوة. وُحّد مع بعل الفينيقي ليعطي بعل أمون أو بعل حمون. نجد حتى بعض القبائل الليبية التي مصدرها اسم هذا الاله مثل قرامونت و ناسامون ... الخ.

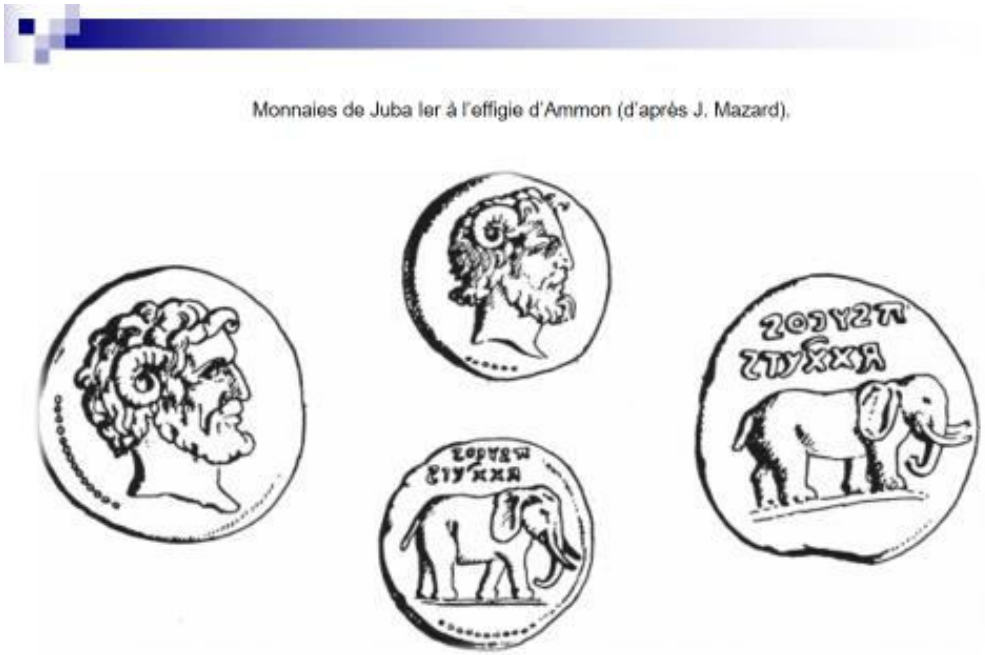
Monnaies de Juba Ier à l'effigie d'Ammon (d'après J. Mazard).

العلاقات مع جيرانهم المصريين:

كان الليبيون جيران المصريين و كانوا يشاركوهم عبادة بعض الالهة مثل **ايزيس** بحيث يقول هيرودوت أنّ الليبيون الشرقيون يعبدونها حتى حدود برقة.

من جهة أخرى تذكر المصادر الفرعونية أن الالهة **نيت** (Nit ou Neith)، جاءت من ليبيا و استقرت في دلتا النيل (نيت الليبية).

العلاقات مع الاغريق:

اتصل الليبيون بالإغريق خاصة في الجهة الشرقية لليبيا القديمة أين نجد مستوطنات اغريقية من بينها قرينة. بنى اغريق قرينة معابد للإله الليبي امون الذي دمج مع زوس الاغريقي. و يذكر الكتاب القدامى عدّة الهة اغريقية ذات أصل ليبي مثل بوصيدون الذي يذكره هيرودوت. كما يوصل هذا الأخير الاله أطلس بجبال الأطلس التي كانت معبودة من طرف الليبيين.

العلاقات مع الفينيقيين:

عند وصول الفينيقيين، جاؤوا بآلهتهم معهم. ففي البداية كانوا يعبدون مثلا بعل و عشتارت. و بعد اتصالهم أكثر بالليبيين و وحدتهم، طرأ تغيير في ميتولوجية كلا الطرفين. بحيث دمج الاله الليبي امون مع بعل الفينيقي ليعطي لنا بعل أمون أو بعل حمون.

أما الإلهة تانيت فرغم تضارب الآراء عنها الا أنّ أغلب الباحثين يقرون أنها ذات أصل ليبي و هي إلهة الخصوبة مثل عشتارت.

العلاقات مع الرومان:

بعد ضمّ افريقيا الشمالية للإمبراطورية الرومانية، أخذ سكانها يعبدون حتى الالهة الرومانية مثل جوبيتر الذي قرّب من امون.

اما عن الاله ساتورن فيقول ترتوليانوس (Tertullianus) أن الأفارقة يقدمون له الأضاحي البشرية خاصة الأطفال. يرى المؤرخون أنّ هذه الأضاحي كانت مقدمة خاصة لبعل حمون وليس لساتورن فهذا مزج اخر بين بعل حمون و ساتورن.

عندما يصل سبتموس سيفريس (Septimus Severus) ذو الأصل الليبي الى الحكم في روما ويصبح امبراطور، يدخل عبادة تانيت الى روما، دمجت مع يونون كايلستيس[7] (Junon Caelestis) ثم أصبحت تدعى كايلستيس فقط.

[7] CAELESTIS, IS, E (adjectif)
- céleste adj. : qui appartient au ciel
- divin, e adj. : qui appartient à un dieu

الالهة خلال الفترة الليبية البونية في شمال افريقيا:

نجد منها الإله بعل حمون الذي أخذ مكانة كبيرة في شمال إفريقيا

بعل حمون:

هو اسم يتركّب من جزأين، ب ع ل – ح م ن ، بعل هو اله فينيقي من حيث التّسمية قبل أن يكون قرطاجيّا. و يعني لغويا «السّيد».

نصب لبعل ذو الصّاعقة القرن 15 و 13 ق م عثر عليه في رأس شمرة (أوقاريت)

بعض الباحثين فسرو الكلمة الثانية (حمون) أنها الدفء أو النار أو الموقد ليعطي هذا الدمج: "سيّد المبخرة " أو "نار الجمر الحامية " أو "سيد الموقد" الذي تنبعث منه الحرارة. كما يعني أيضا الحرارة التي تنبعث من الشّمس.

بعض الباحثين فسرو الكلمة الثانية (حمون) أنها أمون الليبي لأنه يرمز له بالكبش أو رأس الكبش و أنّ عبادة بعل حمون كانت لها صلة بالكبش و قرونه. اذ عثر بالقبور القرطاجية على أثاث جنائزي من ضمنها رؤوس كباش و قرونها بالإضافة الى تماثيل عديدة تنسب الى امون.

متحف كركوان بتونس

كما أنّ **امون** هو اله الشمس و كذلك **بعل حمون** في شمال افريقيا. إضافة الى أنّه هناك صعوبة في التفريق بين الالف و الحاء و الهاء في اللغة البونية و هذا واضح في أنصاب معبد الحفرة، نجد أحيانا مكتوب (بعل حمون) و أحيانا أخرى (بعل امون).

بعل حمون هو إله الشمس يشرف على القمم، الرعد و الصواعق. وهو إله الخصوبة والمحاصيل و سيّد السّماء، وعميد الآلهة عند الفينيقيين و البونيين و الليبيين، فهو يحتلّ المكان الأوّل في **البنتيون**[8] القرطاجي الليبي.

يرمز لبعل حمون بقرص الشّمس، و هو متواجد بكثرة، إما أن يكون مقدّما لوحده أو مرفقاً بالهلال الذي يرمز لتانيت.

يدخل اسم بعل حمون في أغلب أسماء العلم القرطاجية خاصة، مثل **حنبعل** بمعنى (فضل بعل)، **أزروبعل** بمعنى (معاون من بعل).

تانيت:

إلهة القمر، الخصوبة والولادات وسيّدة الأمومة. ذكر اسمها في النقيشات على شكل (TNT) أو (TYNT) ويعود ظهور عبادة هذه الإلهة لما قبل القرن 5 ق.م، حيث نجد فيها الكثير من المشابهات مع الإلهة الفينيقية للخصب عشتارت.

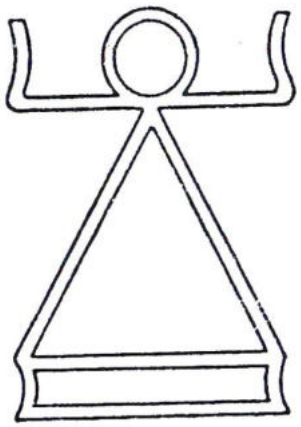

رمز تانيت: رمز تانيت متمثل بالمثلث الذي تعلوه دائرة بينهما عارضة أفقية مقدمة بذلك شكلا إنسانيا ذي طابع هندسي.

يشغل المكان الرئيسي في النصب، وغالبا ما يكون مرفقا برموز أخرى مثل **الصولجان واليد والمباخر**. ويرمز لها كذلك **بالنّخلة و الهلال.**

[8] البنتيون هو مجمّع الآلهة، الذي كان معمول به في كامل الدّيانات القديمة في الشّرق القديم و في شمال إفريقيا و كذا عند الإغريق و الرومان.

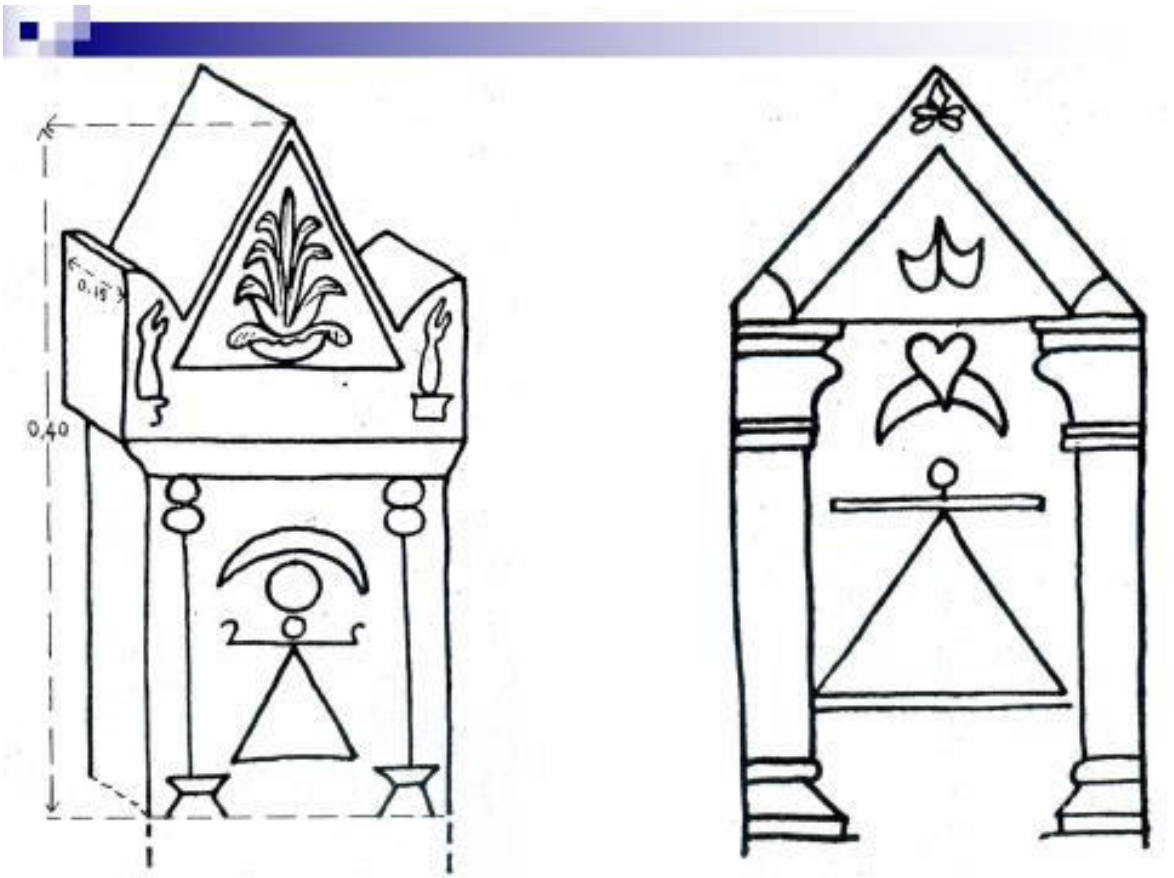

أشمون:

الإله أشمون هو اله الشّفاء و الطّب مقابل للإله اسكلابيوس الإغريقي. يحدّثنا أبيانوس عن معبد له فوق قمّة بيرصة بقرطاجة.

ملكارت:

الإله ملكارت، اسمه مركّب من عبارتين، **ملك و كرت** (مدينة)، أي اله المدينة وسيّدها. له علاقة بالتّجارة وهو اله البحّارة. انتشرت معابده خاصة في المدن الساحليّة.

يدخل اسم ملكارت في أغلب أسماء العلم القرطاجية خاصة، مثل **عملكارت** (عبد ملكارت)، **بوملكارت** (بيد ملكارت أو المدين لملكارت أو التّابع له).

أنزار (ANZAR):

كان اله السماء، الماء، البحار، عناصر المياه و الأمطار. هناك من الطقوس الخاصة بهذا الاله التي مازالت تقام حتى يومنا هذا في الكثير من مناطق شمال افريقيا، في الريف، الأوراس، الأطلس و القبائل. التي تغيرت و أخذت صبغة أخرى بما أنّ الأغلبية اليوم يؤمنون بالإله الواحد الأحد.

أقورزيل أو ڤورزيل (Agurzil ou Gurzil) وإفرو (IFRU):

قبل رومنة شمال افريقيا، ذكرت المصادر بعض من آلهة الحرب عند الليبيين مثل أقورزيل و إفرو.

أما الأول فهو ممثل برأس ثور، و هو ابن أمون، يذكر كوريبوس (Corippus) أن كاهن هذا الاله، كان يأخذه معه في الحرب مع البيزنطيين. كما ذكر أن الكاهنة كانت تأخذه معها في حربها ضدّ العرب.

أما الثانية فهي التي يدعوها الرومان (Dea Africa) اضافة الى أنها الهة الحرب فهي الهة الشمس و حامية البيت، تقام بعض طقوسها في الكهوف التي تدعى افري في اللغة الليبية.

بقيت هذه الالهة حتى بعد رومنة شمال افريقيا، نجدها في القطع النقدية و اللوحات الفسيفسائية و التماثيل الصغيرة الفخارية. نجدها في تيمقاد الهة الوطن (Dea Patria).

العمارة الدّينيّة 3

تقديم القرابين:

ذكرنا أنّ الإنسان يسعى دوما لإرضاء الآلهة التي يعبدها لأنّه متأكد من أنّها هي التي تعطيه الخيرات أو تقطعها عنه فهو ملزم بعبادتها و التّقرّب إليها بتقديم القرابين لها كي لا تغضب منه.

يقدّم لها المنتوجات الأوّلى التي تنتجها أرضه من حبوب و خضروات و فواكه، كما يقدّم لها الأضاحي الحيوانية و حتّى البشرية.

الذبيحة:

الذبيحة هي فعل ديني يشترك به المؤمن في الحياة الدينية. فالإنسان يقدّم الذبيحة لكسب الالهة و ليخفّف من غضبها و ليكفّر عن خطاياه.

بعد أن يشبّه نفسه بالضّحية، يقدّمها للإله. فالذبيحة تربط المؤمن بالإله و تعقد بينهما تحالفا حقيقيا.

قبل أن تضحى الحيوانات، يقومون بلا شكّ بغسلها ثم يقدّمون لها الأكل، كما نشاهدها على بعض المنحوتات خاصة الأنصاب البونية، و أخيرا تزيّن بعناية.

يقودون الحيوان بموكب احتفالي حتى المذبح بجرّه من القرون أو أخذه بين أيديهم و يسبقه لاعبوا الناي

و هو مصاحب كذلك بالأشخاص الذين يحملون الأدوات الطقوسية مثل السّكين و الفأس و قرابين أخرى مثل أواني للزيت و الحليب و الخمر ...

يوصل الحيوان إلى المذبح من طرف مقدّمه و يستقبله الكاهن الذي يقوم بالذّبيحة و ذلك بقتل الحيوان بضربه بالسّكين ثمّ يقطّعه و يضع رأسه فوق المذبح و يقوم بالصلوات و الدعوات برفع يدّه اليمنى.

أحشاء الحيوان و شحمه تحرق فوق المذبح أما لحمه فيقسّم بين مقدّم الأضحية و الكهنة، أما الجلد فيأخذه صاحب الأضحية حسب التعريفة المعمول بها (Tarifs sacrificiels).

يبقى الان أن يوضع رماد الحيوان في جرّة تدفن مع الأدوات النذريّة الأخرى و من فوقها نصب عليه صورة الأضحية، رمز الاله و اسم صاحب الأضحية.

تقدّم أنواع كثيرة من الحيوانات كأضحيات مثل الثيران و الكباش و المعز ... الخ، اضافة الى الطيور و الأسماك ... الخ.

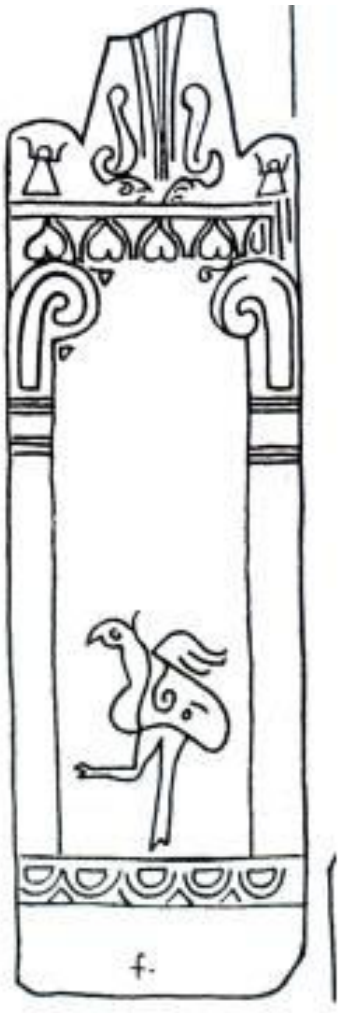

الأضحية البشريّة:

الكلمة الفينيقية البونية (**م ل ك**) كلمة طقوسيّة تعني الأضحية البشرية التي تقدّم **كذبيحة** للآلهة و تقام في المعبد المدعو "**توفات**" .

الطقوس تقام بوضع الضّحية المقدّمة كذبيحة للآلهة في المحرقة التي تدعى "توفات" لحرقها ثمّ توضع بقايا العظام المحروقة و الرماد في جرّة تدفن في الساحة المقدّسة و يعلوها نصب عليه نقش اهدائي للإله و كذا اسم صاحب الأضحية.

كانت المحرقة التي توضع فيها الذبيحة هي التي تدعى "توفات" ثم أصبح المعبد بأكمله يدعى "توفات" .

التوفات:

هناك أمثلة كثيرة عن هذه الأماكن المقدّسة المليئة بالجرار التي تحتوي على بقايا الأضاحي البشرية أو الحيوانية منها توفات سالمبو بقرطاجة و حدرومت (سوسة) و الحفرة بقسنطينة وسبراطة ...الخ

بعد دراسة محتوى جرار توفات قرطاجة، تبيّن أنّها بقايا لمولودين جدد أو مولودين موتى (mort-nés)، جرّة من ثلاثة تحتوي على بقايا خروف أو جدي دليل على أنّ هناك الأضحية المستبدلة (sacrifices de substitution).

أما الجرار التي تعود للقرن الرابع تحتوي على بقايا عظام أطفال عمرهم يتراوح بين سنة الى أربع سنوات، جرّة من عشرة فقط تحتوي على بقايا حيوان استبدل الطّفل به.

توفات سالمبو :

يقع قرب البحر، على مسافة غير بعيدة من المرفأين، كشف عن المذبح و قطعة الأرض المسوّرة المخصّصة للذبيحة البشرية، كما كشف على المعبد الذي كرّس فيما بعد للإله ساتورن.

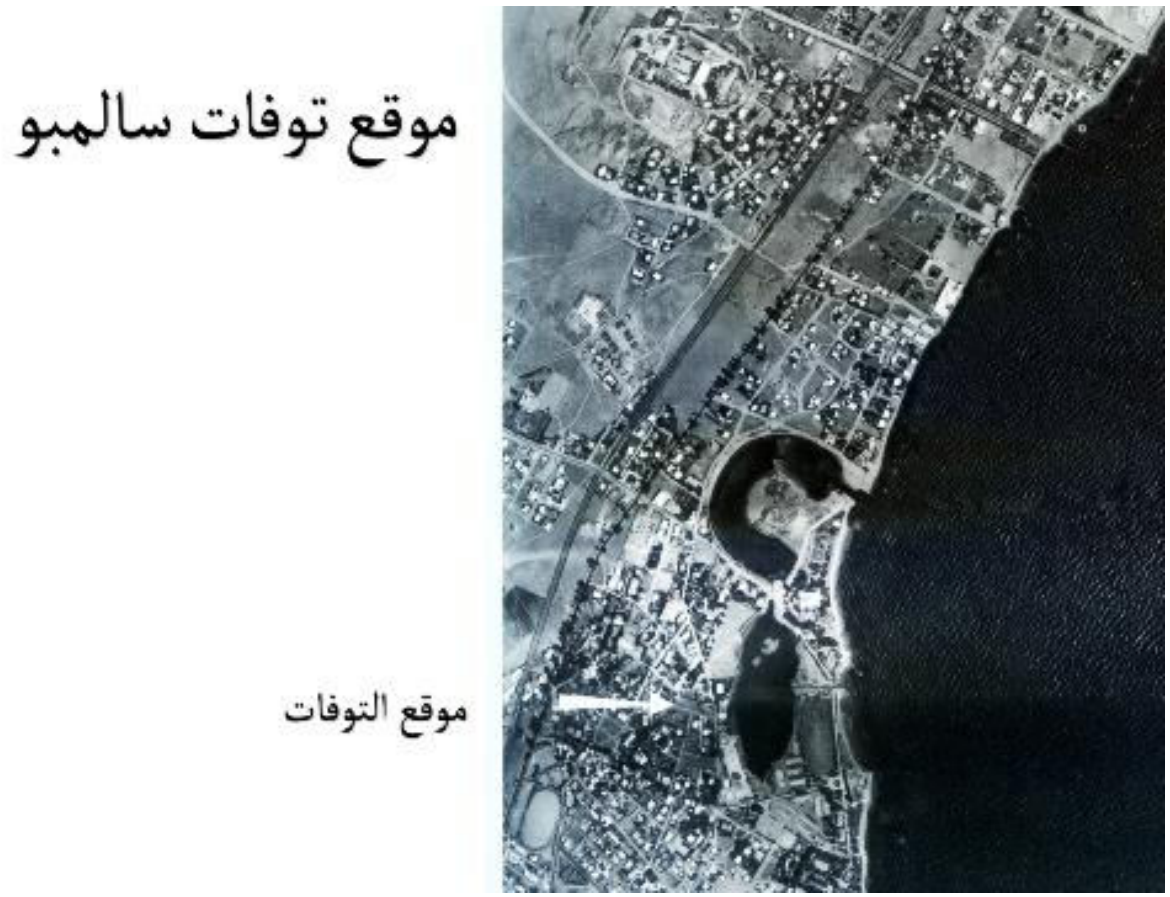

فوق الأجاجين أو الجرّات التي تحتوي على رماد الأضحية، نجد قطع حجريّة منحوتة ذات أشكال مختلفة.

منحوتة على شكل أنصاب أو أشكال هندسية بسيطة بعضها تحمل زخارف وأخرى بدونها. أو منحوتة على شكل مصلّيات.

بما أنّ المساحة المخصّصة لدفن الجرار صغيرة، توضع الجرار داخل الحفر و تغطّى بطبقة من الرّمل الأصفر ثم تدفن مرّة ثانية جرار أخرى توضع اما لوحدها أو مجموعات من الجرار يعلوها حجر منقوش أو نصب.

بهذا فبعض الباحثين ميّزوا ثلاث مستويات سميت بتانيت الأولى، الثانية و الثالثة. بينما باحثون اخرون يذكرون أربع مستويات أ، ب، ج، د التي يمكن تأريخها من القرن الثامن الى غاية سقوط قرطاجة سنة 146 ق م.

توفات سالمبو

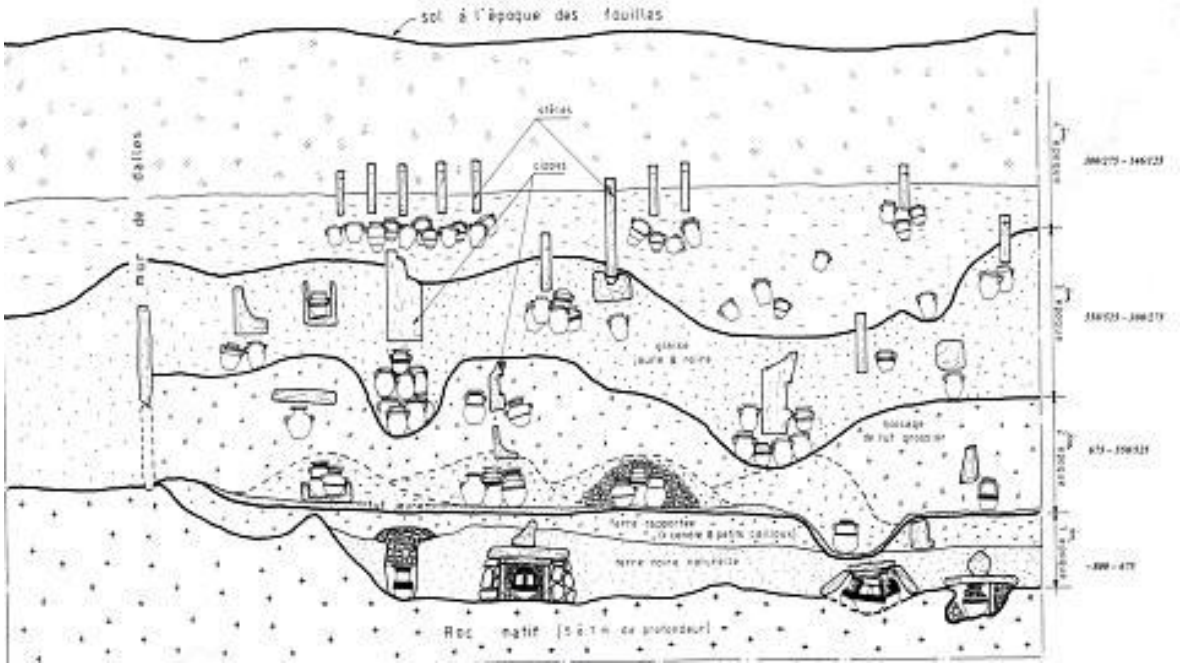

معبد الحفرة:

يقع معبد الحفرة بقسنطينة على مرتفع، في الجنوب الغربي لعاصمة المملكة النوميدية محاذيا للضفة اليسرى لنهر الرمال و موازيا له من الناحية الشمالية. و بهذا فقد أعطى للفضاء المقدس مساحة تقع بين أسفل القمة و الضفة اليسرى من النهر المحاط بأشجار.

يعتبر معبد الحفرة المجال المقدس حيث يعرف بالتوفات و هو المعبد المفتوح المحاط بسور وتقدم به القرابين سبق أن قلنا أنّها تضحية بشرية أو حيوانية، و أن الأطفال الصغار يدفنون به.

اعتمادا على الاكتشافات الأثرية التي أجريت في الموقع خلال القرنين التاسع عشر و العشرين تؤكد لنا أننا أمام معبد نوميدي للإله بعل حامون.

مر بمراحل تطورية هامة، حيث كان أصله خلال القرن الثالث ق.م. مجال مقدس **مفتوح على الهواء الطلق** ما يعرف بالتوفات إلى مجال مقدس **مبني**. و قد وصل في فترة الملك " ماسينيسا" و أبنائه خلال القرن الثاني ق.م. إلى أوج ازدهاره.

معبد الحفرة

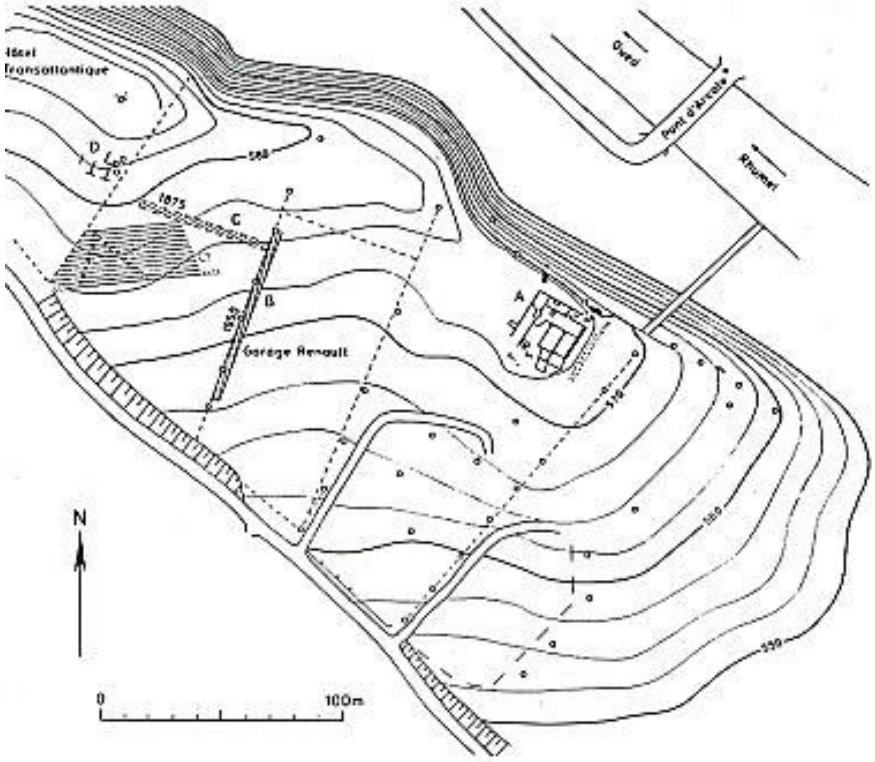

مخطّط معبد الحفرة الذي بني في فترات لاحقة

و اعتمادا على **الصيغ النذرية المسجلة على نصب** معبد الحفرة، فنتوقع أن هذا الأخير، كان يحوي بداخل السور على مذبح و ربما حفرة مشتعلة للتقديمات النذرية سواء الحيوانية أو البشرية، المتمثلة في التضحية بالأطفال، و التي كانت موجودة في المجتمع النوميدي، و لو كانت مقتصرة على الفئة المتأثرة بالحضارة البونية. حيث كانوا يذبحون أطفالهم و تلقى جثتهم في النار، حسب ما جاء في النصوص الإغريقية " لديودوروس الصقلي". ثم توضع الجثث بعد حرقها في جرار و تدفن في باطن الأرض المقدسة و تنصب فوقها حجارة منحوتة (النصب).

غير أن ظروف التنقيبات بالمعبد لم تسمح لنا لسوء الحظ من العثور على تلك الجرار الحاوية للعظام المتفحمة، حتى أن وضعية النصب كانت هي الأخرى متراكمة فوق بعضها. و لعل السبب في ذلك أن المعبد يقع على هضبة منحدر وادي الرمال و لكثرة الإنزلاقات أدى إلى ضياعها.

الحالة السيّئة لمعبد الحفرة

إنّه من الصعب الدراسة و التّوصّل الى معرفة الجانب الديني للفينيقيين–البونيين و الليبيين، بحيث وجب على الباحثين أن يتّحدوا للتّوصّل الى نتيجة مقنعة، فمنهم الأثريون، المختصون في الكتابات القديمة و نقدها، المختصّون في الكتب السماوية، علماء الأنتربولوجيا و حتّى الطّب الشرعي خاصة فيما يخصّ التضحيات البشرية و الحيوانية.

العمارة الجنائزيّة _ 1

المدافن الليبية

خلال عصور ما قبل التّاريخ، كانت الجثث تترك في عرضة للحيوانات، ثمّ وضع الإنسان ركام من الحجر على شكل تلال أو صفائح ضخمة فوق حفرة الميّت، لخوفه من أن يعبث الإنسان و الحيوان بقبر الميت، ثمّ أخذ الإنسان يطوّر عمليّة الدّفن و أنواع المدافن.

أوّلا – المدافن الليبية:

لقد تنوّعت مدافن البربر على مرّ العصور، فمنها ما هو أصيل المنشأ و منها ما خضعت إلى مؤثّرات خارجية، نتيجة الانفتاح على حضارات الأمم المعاصرة لها كالإغريق و المصريين و الفينيقيين.

اتّخذت هذه المدافن عدّة أشكال؛ مخروطي، اسطواني، مربّع، هرمي و برجي. منها: التلّة الجنائزية أو الجثوة المدعوّة كذلك تيملوس، البازينات، الشوشات، الحوانيت، المصاطب أو الدولمن . إلى أخره من تسميات عدّة و أشكال متنوّعة، يمكن تصنيفها أخذا بعين الاعتبار شكلها الهندسي العام أو حسب الفترات الزمنية.

أ – المدافن البدائية: مثل المغارات الطبيعية و المهيأة، الحوانيت و الملاجئ تحت الصخور.

ب – مدافن فجر التاريخ: مثل الجثوات أو التيملوس، البازنات، المصاطب أو الدولمانات و الشوشات.

ج – مدافن العهد التاريخي: و تضمّ على الخصوص الأضرحة الكبرى.

معظم هذه القبور استمرّ طوال العهد التاريخي، أين عرف بعضها تطوّرات جوهرية مسّت شكلها الهندسي العام و مخطّطها الداخلي.

تعريف بعض أنواع المدافن:

أ – التّلة الجنائزية _ التيملوس (Tumulus) :

أطلق مصطلح تيملوس على نوع من القبور يتكوّن من بناء مخروطي الشّكل يُغطّي حفرة الدّفن التي تتكوّن من ركام كبير من التربة و الحجارة، و هي ذات قاعدة دائرية.

عُرف هذا النّوع من القبور بعدّة أسماء مثل الرجم و الكركور و هي أسماء محلّية في الشرق الجزائري و غربه حتّى المغرب الأقصى. إضافة إلى تسمية الجثوة أو التّلة الجنائزية.

انتشر هذا النّوع بكثرة في بلاد المغرب القديم و تمتدّ آثاره إلى غاية المنطقة الصّحراوية إلى حدود النيجر جنوبا، و يصل امتداده إلى النيل و جزر الكناري.

وعليه فانّ التيملوس هو تكديس بسيط للحجارة ذات أشكال مختلفة، و توجد عدّة أصناف لهده القبور المخروطيّة الشّكل تتلخّص في الأنواع التالية:

1 – التيملوس الخالي من الغرفة الجنائزيّة.

2 – التيملوس الذي يحتوي على غرفة دفن.

3 – التيملوس الذي يضمّ تابوتاً حجرياً.

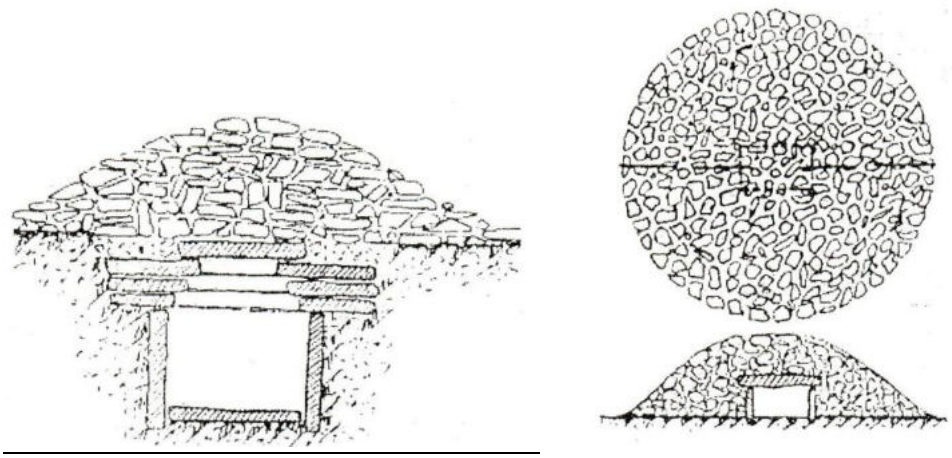

التّلة الجنائزية (التيملوس)

ب – البازينة (Bazina) :

مصطلح البازينة، اصطفاه بعض علماء الآثار للإشارة إلى نوع القبور التي تعلوها بنايات مستديرة الشكل عامة، و قد تكون مدرّجة حيث أنّها تتكوّن من دوائر متتالية شاقولياً مع تقلّص القطر حتّى تظهر في شكل حلزوني. و يستعمل في بناء البازينة، الحجارة و الأتربة معاً. و البازينة من المدافن المميّزة لليبيين، و قد بقيت متواجدة الى ما بعد الغزو الروماني.

أمّا عن أهمّ أنواعها نجد:

1 – البازينة المقبّبة.

2 – البازينة ذات القاعدة الأسطوانية.

3 – البازينة المتعدّدة القبور.

4 – البازينة المدرّجة.

5 – البازينة المتطوّرة. (متطوّرة في طريقة البناء و الزخرفة مثل المدغاسن و الضريح الملكي الموريطاني).

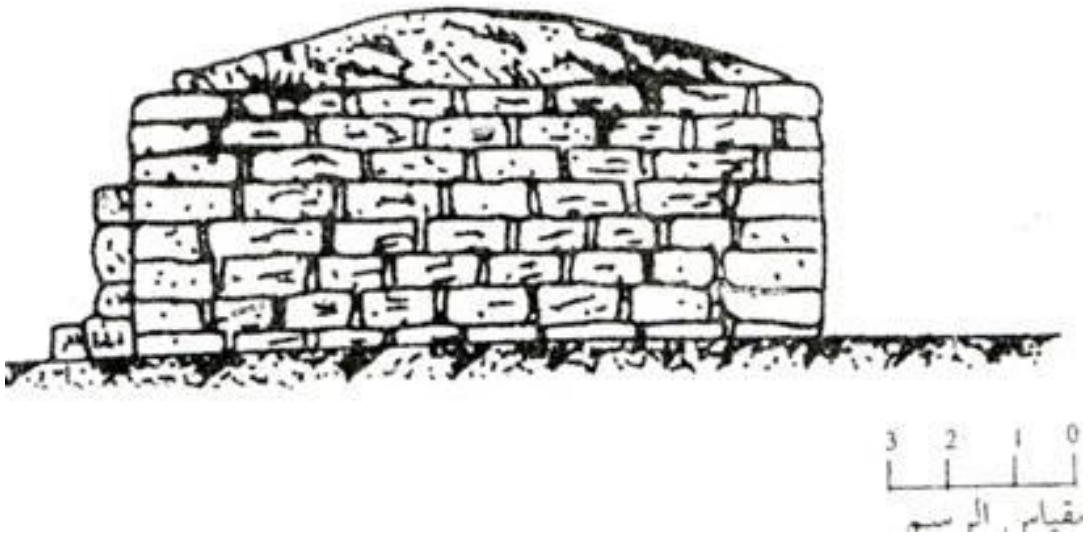

بازينة مقبّبة

ج– الشوشة (Chouchet) :

قبور الشوشة تأخذ شكل أبراج مستديرة. فالشوشة عموماً عبارة عن برج جنائزي رملي صغير تعلوه بلاطة، و غالباً ما يتراوح ارتفاعه بين 2.5 إلى 3 أمتار، يتميّز بمتانة جدرانه الخارجيّة، و الشوشة أن نصنّفها إلى عدّة أنواع و هي:

1 – الشوشة وحيدة القبر.

2 – الشوشة المتعدّدة القبور.

3 – الشوشة ذات الغرفة الجنائزية الدائرية الشّكل.

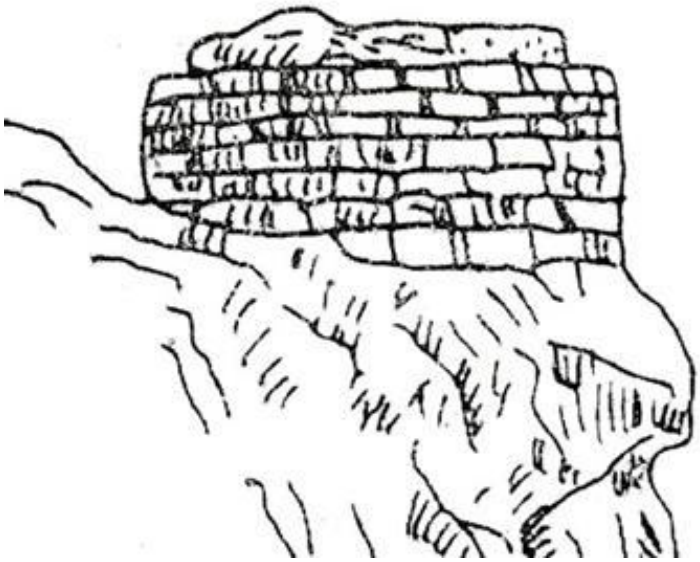

الشوشة

د – الدولمن (Dolmen) :

قبور الدولمن تدعى كذلك المصاطب أو المناضد، و هي عبارة عن كتل حجريّة تثبّت فوق سطح الأرض مكوّنَة من ثلاثة أو أربعة أعمدة حجريّة تعلوها كتلة حجريّة أخرى مُدّت في الشّكل الأفقي توضع على الكتل الموضوعة عموديًا تمثّل بذلك السّقف.

أما عن مظاهرها فهي إما تكون مستطيلة أو رباعية الشّكل. و في كثير من الأحيان تحاط بسياج أو عدّة أسيجة مستديرة من الحجارة المتوسّطة الحجم. و قد اشتهرت قبور الدولمن في بلاد المغرب القديم بصغر حجمها إذا ما قورنت و قيست بمثيلتها في أوربا.

شملت قبور الدولمن كثيرًا من مختلف مناطق العالم فنجدها في بريطانيا، فرنسا، ألمانيا، ايطاليا، اسبانيا و إفريقيا الشمالية. فضلاً عن مواقع عديدة حيث تمتدّ جغرافيًا إلى غاية الأراضي الروسية.

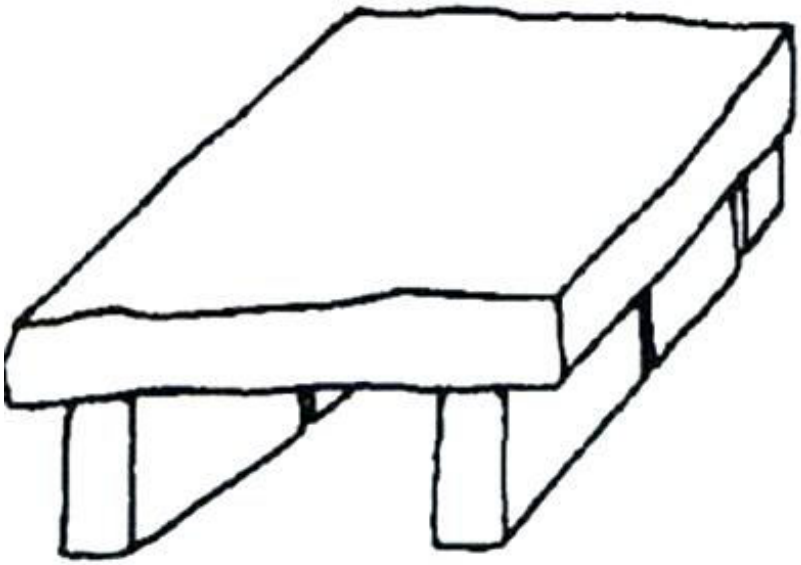

دولمن بسيط

هـ – الحوانيت (Haouanit):

الحوانيت مفردها حانوت، يطلق هذا المصطلح على تلك القبور المحفورة في الصخور و واجهات المرتفعات الجبلية، و هي ذات أشكال متعدّدة تختلف من موقع إلى آخر، تتميّز بمداخلها الضّيّقة، التي تغلق بواسطة ألواح حجريّة مركّبة عموديًا، بحيث صُقِلَتْ الحواف بدقّة مما يسمح بوضع تلك البلاطة في شكل منسجم مع المدخل. فبعد عملية فتح الحوانيت ضاعت تلك البلاطات التي كانت بمثابة أبواب حجريّة.

يتركّب الحانوت من عنصر واحد، عنصرين أوأكثر و قد يتقدّم الغرفة بهو أو معبرًا صغيرًا، كما تكون الحوانيت متتابعة.

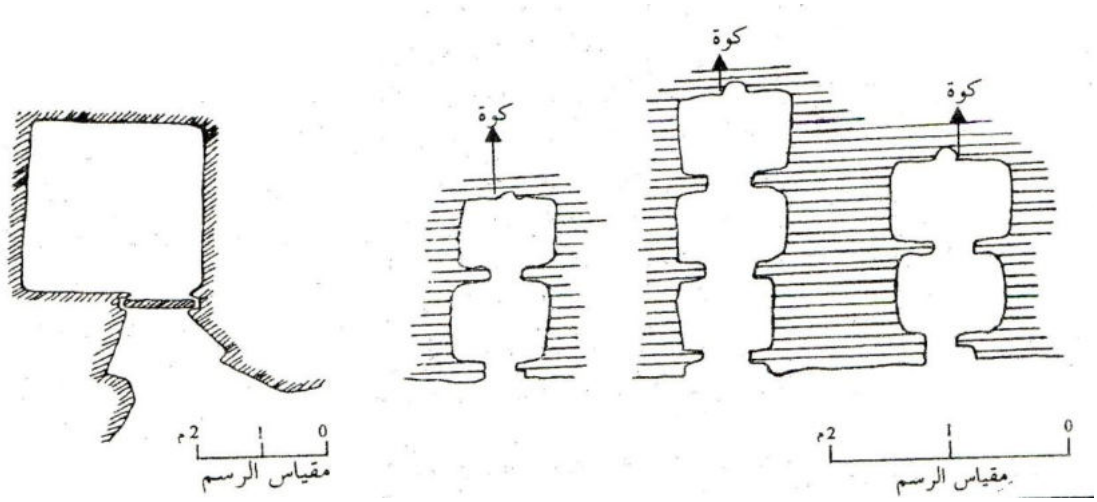

ـــــ حوانيت ـــــ

انواع المدافن البربرية القديمة

الفترة	المدافن	الأنواع التي شكلت نماذج للأضرحة
المرحلة البدائية	ـــ المغارات الطبيعية والمهيئة. ـــ الملاجئ تحت الصخور . ـــ الحوانت .	
الفترة المبكرة	ـــ الجثوة العادية . ـــ البازينة . ـــ المصاطب . ـــ الدوائر الحجرية . ـــ الشوشات .	ـــ الجثوات ذات الحفرة . ـــ الجثوات ذات المحاريب . ـــ الجثوة ذات المطاف . ـــ البازينة ذات قاعدة اسطوانية وجذع مخروطي . ـــ بازينة ذات مدرجات . ـــ بازينة ذات قاعدة مربعة وتاج مدرج . ـــ بازينة ذات غرف متعددة . ـــ بازينة أو جثوة ذات قاعدة مربعة وتاج هرمي مدرج .
العصر التارخي القديم والمتأخر	ـــ الأضرحة المستديرة والهرمية ـ المدغاسن ـ قبر الرومية ـ لجدار ـ سوق الغور ـ بلاد قيطون ـ قبر تين هينان ـــ الأضرحة البرجية : ـ صومعة الخروب ـ دوقة ـ مكثر ـ ضريح سيغا ـ هونشير بورغو ـ صبراتة (A- B) .	

العمارة الجنائزيّة _ 2

المدافن البونية

ثانيا_المدافن البونية:

المدافن البونية أصولها شرقية فينيقية و لكن تطوّرت و دخلت عليها عناصر محلية لا نجدها في الشرق.

نجد نوعين من القبور و هي: القبور المحفورة و القبور المبنية.

أ – القبور المحفورة:

و هو النوع البدائي، غير مبني، ينقسم بدوره إلى نوعين: قبور بسيطة و قبور سردابية.

– القبور البسيطة:

عبارة عن حفر بسيطة، تحفر أحيانا في الصّخر. وهي ذات شكل مستطيل، توضع عليها بلاطات حجرية.

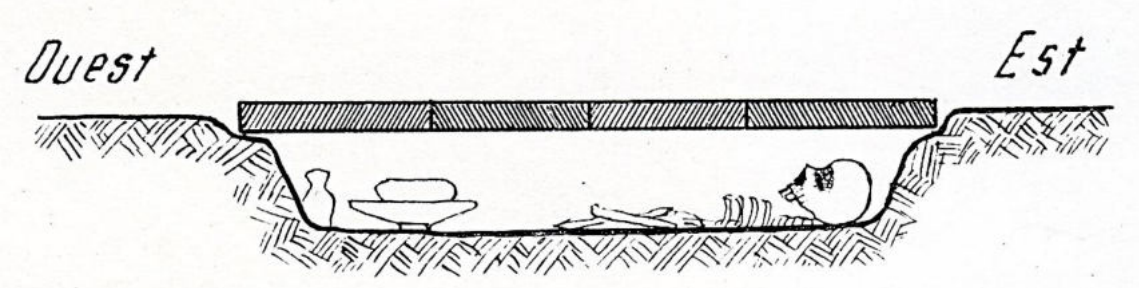

– القبور السردابية:

يوصل إليها عن طريق آبار زوّدت بأدراج حُفرت على جوانبها.

و هي تحتوي على غرفة جنائزيّة واحدة أو على عدّة غرف يوصل فيم بينها بممرّات. في بعض الأحيان نجد كوّات على الجدران توضع فيها المصابيح.

نجد أمثلة لهذا النّوع من القبور في قرطاجة، ذات غرف عديدة.

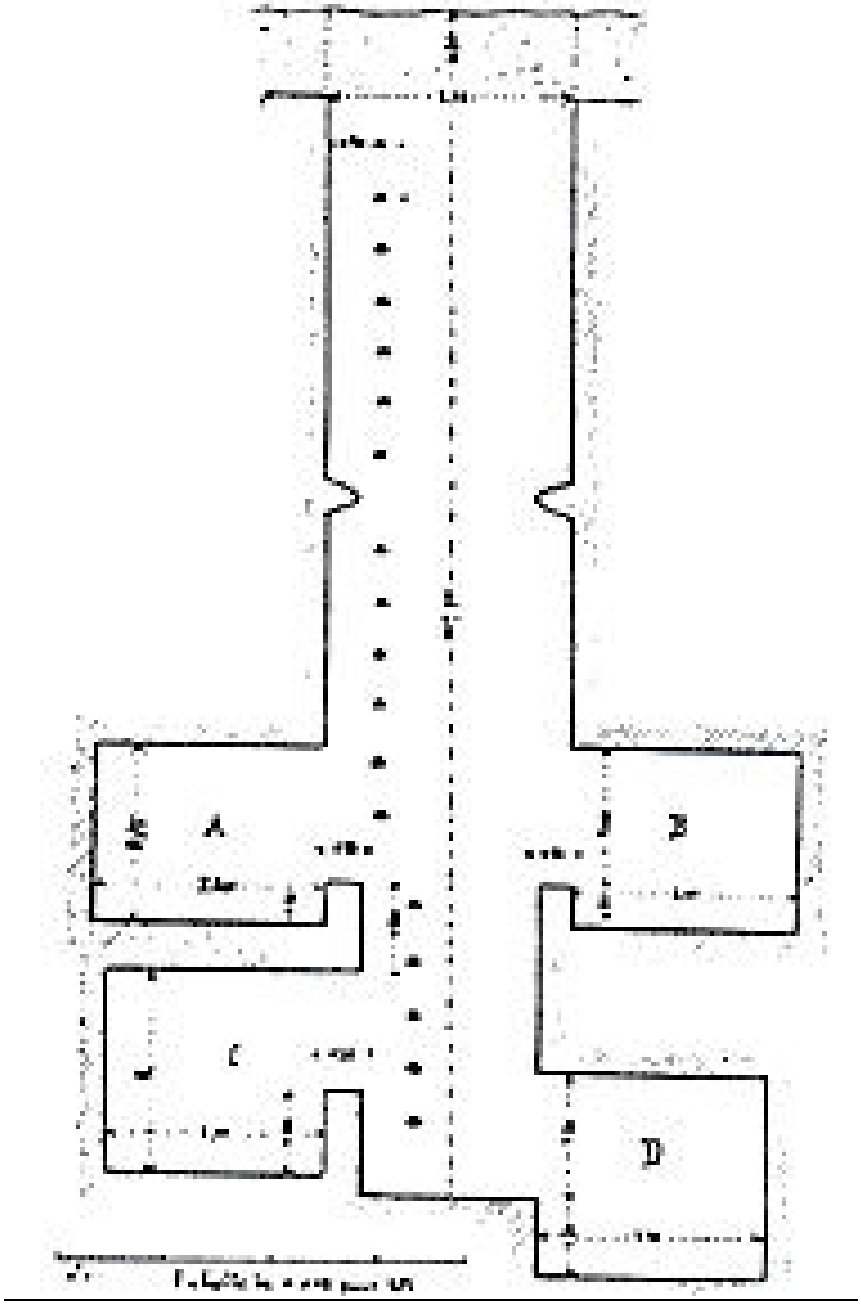

ب – القبور المبنية:

نجد أنّ القبور المحفورة المذكورة سابقا قد تطوّرت و أصبحت لها تهيئة معماريّة.

فبعد ما كانت تحفر فقط أصبحت تبنى أو توضع فيها بلاطات حجريّة على الجدران التي تأخذ شكل مستطيل و غالبا ما نجد في الدّاخل صندوق للميّت مصنوع من الحجر.

نجد أنّ هذا النوع يتطوّر، و يصبح قريبا من سطح الأرض (لا ينزل إلى العمق)، و نجد غرفة أو غرفتين على الجانبين. تتواجد في المواقع البونية مثل قرطاجة، أوتيكا، اعتبارا من القرن الخامس ق م، و في تيبازة ابتداء من القرن الثالث و الثاني ق م. وتدعى **بالقبور السردابية ذات المدخل الجبّي**.

هناك نوع آخر، و فيه لا يكون المدخل عمودي على شكل بئر، بل **يكون مائل و به درج**.

كما بدأ يظهر الشكل المثلث المشكّل ببلاطات حجرية فوق سطح القبر، لتخفيف الوزن.

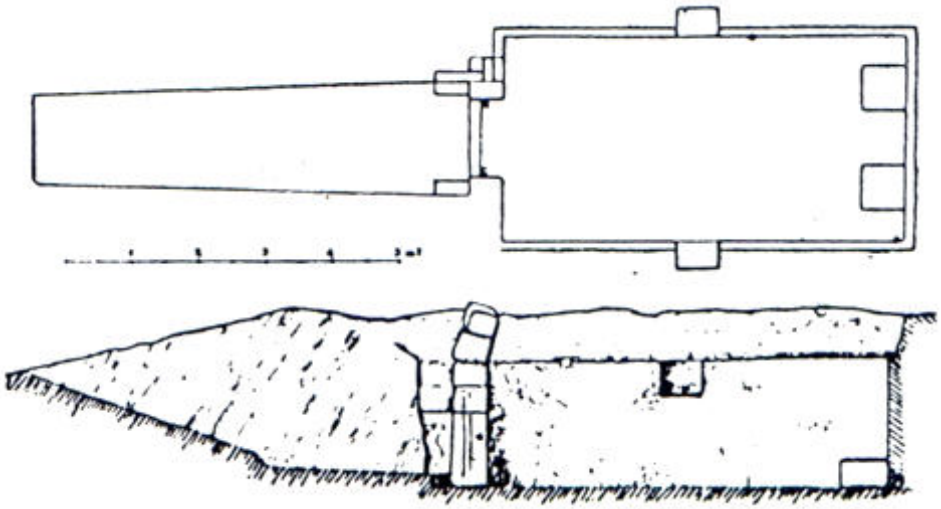

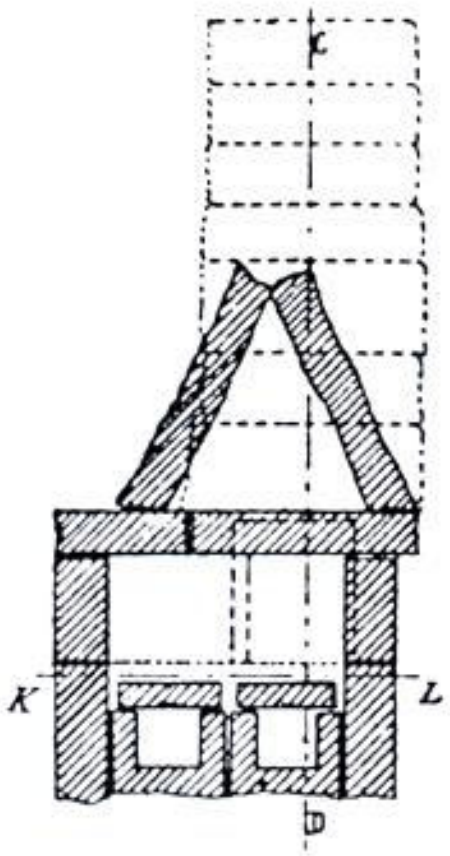

5

كما نشاهده في قبر بتيبازة، فهو منحوت في الصّخر، أضيف للجدران علو بالحجارة الصّغيرة غطّي هذا القبر ببلاطات حجرية موضوعة لتشكيل السقف المثلّث الشّكل.

في الجدران نجد كوّات. أمّا الباب عبارة عن بلاطة حجريّة تنزل لغلق المدخل أو تصعد لفتحه.

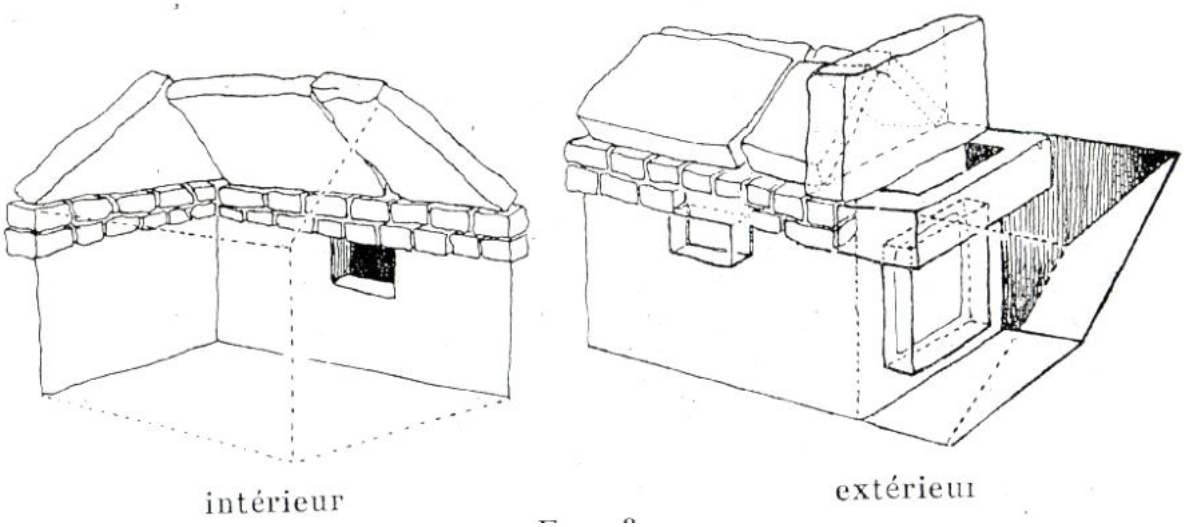

intérieur

extérieur

في ميناء الصيد الحالي بتيبازة يتواجد قبر بوني بقي لوحده وسط الميناء لأنّ خلال الفترة الرومانية استعملت المنطقة كمحجر لبناء المدينة لكن بقي هذا القبر ربما لاحترامهم الموتى أو أنّهم لم يكونوا يحتاجونه. القبر في حدّ ذاته، عرضه متر و خمسة و تسعون سنتمتر وطوله ثلاثة أمتار و عمقه متر و خمسون سنتمتر. كان مغلق من الأعلى بخمسة أو ستّة بلاطات سمكها حوالي ستين سنتمتر.

تجدر الإشارة أنّ هناك قبور بونية بنيت جدرانها بالطوب، المجفّف بواسطة الشّمس أو بالحجارة الصغيرة و نجد أمثلة في تيبازة و جيجل و قورايا.

و هناك قبور بونية على شكل جرار (أنفورات) يدفن فيها خاصّة الأطفال الصغار. كما نلاحظه في هذه الجرّة بتيبازة.

إن تطور القبور البونية ذات الغرفة والمدخل الجبّي المحفورة بعمق في الأرض، نحو الأقل عمقا ونصف الظاهرة فوق الأرض، تفسّر حسب كامبس "بانشغال السكان في أن يكون لقبورهم مدخل سهل نحو الغرفة الجنائزية كما هو الحال في المعالم الجنائزية البربرية لفجر التاريخ".

تحتوي قبور السكان في المدن البونية على أثاث جنائزي ذي مواصفات بربرية محلية بحتة، ومتطابق مع ما نجده في القبور الريفية البربرية لفجر التاريخ، وهي نادرة لدى الفينيقيين، مما يبرهن على وجود طقوس جنائزية ليست فينيقية بل لسكان محليين؛ وهي إشارات ودلائل مهمة لتوضيح نوعية السكان في المدن البونية.

3- العمارة الجنائزيّة

في الوقت الذي اندثرت فيه جلّ المعالم الأثرية المتعلّقة بالحياة اليومية للإنسان، نجد المعالم الخاصّة بالأموات حاضرة تشهد على فترة تاريخية هامّة من تطوّر الانسان بصفة عامّة وانسان المغرب القديم بصفة خاصّة. بحيث أنّ أغلب المعالم الأثرية لفترة فجر التّاريخ هي في الواقع عبارة عن معالم جنائزية، تتمثّل في القبور الميڤاليتية[9] ممثلة في الدولمن و البازينات أو في الأشكال المتطوّرة للفترة التّاريخية و المتمثّلة في الأضرحة الملكية ذات البازينات الأسطوانية كضريح المدغاسن و الضريح الملكي الموريطاني. و كذلك البازينات المربّعة و المتمثّلة في الجدار.

1- نشأة المدافن:

استطاع النيوليتي (العصر الحجري الحديث) أن يحقّق تحوّلا جذريا في نمط حياة الإنسان الليبي، فعقب اكتشافه الزراعة و استئناسه للحيوانات و التأقلم مع حياة الاستقرار، اهتدى أيضا إلى ضرورة تخصيص أماكن معيّنة مستقلّة، خارج مسكنه لأمواته، فشكّل بذلك اللبنة الأولى لظهور المقبرة. بحيث أنّ دفن الميّت و مواراة جسده في التراب، يفكّر فيه الإنسان منذ أواسط هذا العصر النيوليتي، و يعبّر بذلك عن سلوك فكري جعله يحقّق انجازا مادّيا تمثّل في بقايا الدفن و منه جاءت أصناف المدافن التي أخذت تتطوّر مع التّطوّر الحضاري للإنسان بصورة عامة عبر مختلف الأطوار و المراحل التي مرّ بها. و تعتبر مرحلة فجر التاريخ واحدة من أهمّ مراحل تطوّر الإنسان من حيث المنجزات الحضارية.

[9] مصطلح الميڤاليت هو مصطلح إغريقي يتكوّن من شقّين: ليتوس و تعني الحجر و مڤاس و تعني كبير بمعنى الحجر الكبير.

فبعد خروجهم من المغارات الطبيعية و المهيأة، شرع الانسان منذ نهاية النيوليتي في تشييد أولى القبور على المنحدرات و الهضاب الصّخرية. بعد أن كانت الجثث تترك في عرضة للحيوانات أخذ يطوّر عمليّة الدّفن ليواري الجثّة في الأرض حتّى يخفيها على الحيوانات المفترسة.

اهتمامهم الشديد بظاهرة الموت و إيمانهم القويّ بمعتقداتهم الدينية و خوفهم من أن يعبث الإنسان و الحيوان و نوائب الدهر بقبر ميّتهم، دفعهم إلى وضع ركام من الحجر على شكل تلال أو صفائح ضخمة فوق حفرة الميّت التي وضعت بداخلها جثّة الميّت أو رفاته المحروقة.

2- أنواع المدافن:

لقد تنوّعت مدافن الليبيين على مرّ العصور، فمنها ما هو أصيل المنشأ و منها ما خضعت الى مؤثّرات خارجية، نتيجة الانفتاح على حضارات الأمم المعاصرة لها كالإغريق والمصريين و الفينيقيين. اتّخذت هذه المدافن عدّة أشكال؛ مخروطي، اسطواني، مربّع، هرمي و برجي. (انظر دروس المدافن الليبية و البونية).

3- طرق الدّفن:

سمحت لنا أنواع المدافن، التي ذكرناها سابقا و غيرها، بالتّعرف على أنواع الدّفن التي كانت سائدة قديما و هي:

- ***الدّفن العادي*** الذي ينقسم إلى ثلاثة وضعيات (منكمشة، منطوية و ممدّدة)
- ***الحرق*** الجزئي أو الكلّي للجثث قبل دفنها.

أ – وضعيات الميّت من خلال الدّفن العادي:

هناك ثلاث وضعيات رئيسية لدفن الميّت، المنكمشة و المنطوية التي تعود جذورها إلى ما قبل التّاريخ. والممدّدة التي استعملت في فترة متأخّرة.

أ–1– الوضعية المنكمشة: تنكمش الجثّة كلها في حفرة صغيرة و ضيّقة لتأخذ شكل الجنين في بطن أمّه.

أ–2– الوضعية المنطوية: شكلها يقلّد إلى حدّ كبير الإنسان النائم على الجانب الأيمن أو الأيسر، بحيث تكون الأطراف السفلى منثنية باتجاه البطن و الأطراف العليا ملتصقة بالصدر و متجهة نحو الوجه.

أ–3–الوضعية الممدّدة: يدفن الميّت ممدّدا سواء على جانبه الأيمن أو الأيسر أو على ظهره. هذه الوضعية نادرة خلال فترة فجر التّاريخ فهي عادة متأخّرة في بلاد المغرب.

ب– الحرق:

وهو نوعان، حرق كلّي و حرق جزئي.

ب–1– الحرق الكلّي: أو الحرق الكامل يتمّ من خلاله تحويل جثّة الميّت إلى رماد. ثمّ وضع هذا الأخير في مرمدات ودفنها.

ب–2– الحرق الجزئي: يدخل عادة ضمن شعيرة تجريد الجثّة من اللّحم قبل دفنها.

ج– تجريد الجثّة من اللّحم: و يتمّ ذلك بطريقتين، إما بوضع الجثّة في قبر أوّلي أو تركها في الهواء الطّلق عرضة للطيور و الحيوانات. أو تحريق جزئي أو نصفي للجثّة للتّخلّص من اللّحم و الوصول إلى العظام. ثمّ دفن هذه الأخيرة و خلط عظام أشخاص عدّة في قبر واحد. غالبا تطلى العظام باللون الأحمر قبل دفنها.

عُثر ببازينة تيديس على مجموعة من العظام مختلطة بالرّماد، مما جعل الباحثين يعتقدون بأن سكان مدينة تيديس القدماء كانوا قد مارسوا عادة تجريد الجثّة من لحمها قبل الدّفن النّهائي، أو يكونوا قد مارسوا حرق الجثث.

4- الأثاث الجنائزي:

عثر الأثريون، خلال حفريات المقابر البربريّة التي تعود إلى الفترات القديمة، خاصة الدولمانات و البازينات، على عدد كبير من الفخاريات التي أخذت مكانة أكبر مقارنة بالأدوات الجنائزية الأخرى التي تدفن مع الميّت.

فتواجد الفخار بكثرة داخل مختلف أصناف المدافن، يدلّ على أهمّية وظيفته الجنائزيّة فضلاً عن استعماله في الحياة اليوميّة العاديّة.

هذه الأواني، خاصّة بمختلف أغراض و شؤون الحياة اليوميّة، التي تنحصر وظيفتها في الشّرب و وضع المواد الغذائيّة و التي وُضِعَتْ كقرابين للميّت نظرا للاعتقاد السّائد بحاجة هذا الأخير إلى لوازمه العاديّة من كؤوس و صحون و أقداح و جفان لوضع الأكل و الشّرب و كذا المصابيح لتخفيف الظلام على الميّت في قبره، إضافة إلى أثاث جنائزي معدني مثل الحلي بمختلف أشكاله.

تزويد الأموات بكل هذه الأواني و الأدوات هو إيمان قاطع بحاجة هؤلاء إليها و هذه الحاجة لا يمكن تحقيقها إلاّ عن طريق تقديمها كهدايا جنائزيّة.

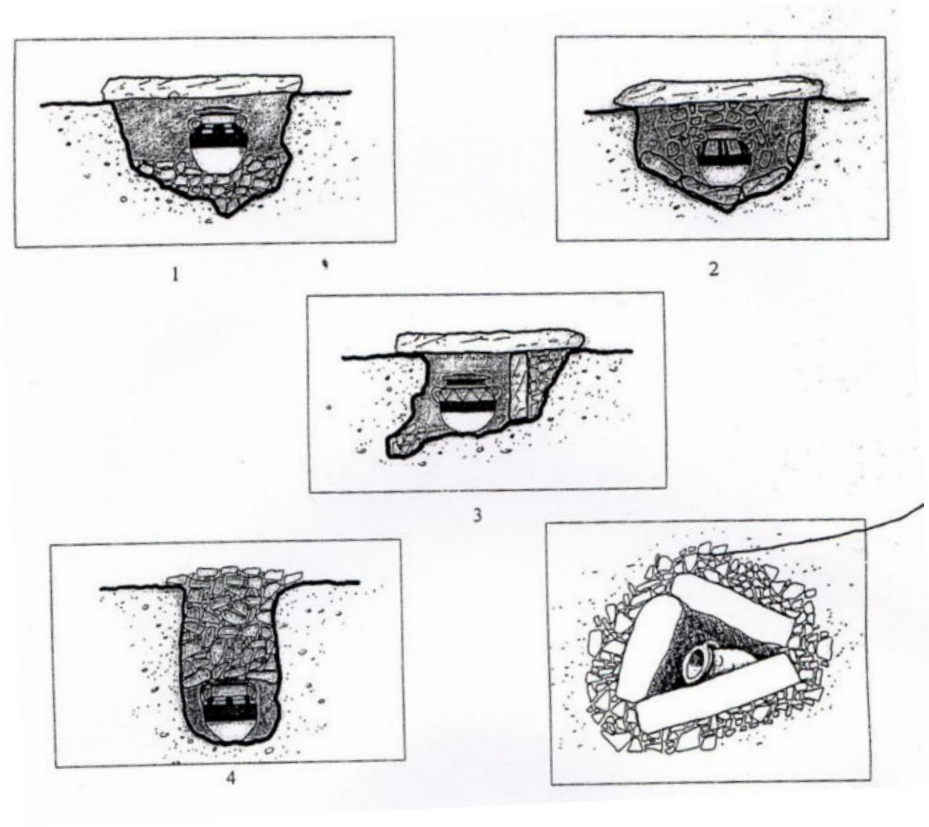

الوضعيّة المنكمشة

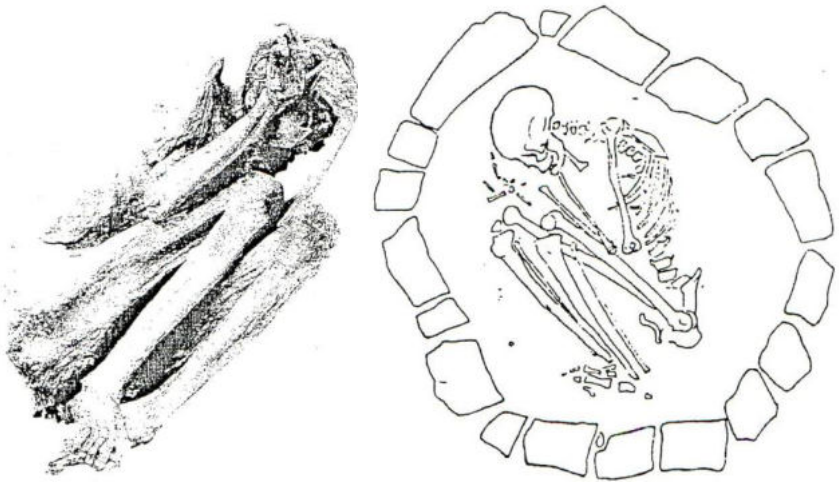

الوضعيّة المنطوية

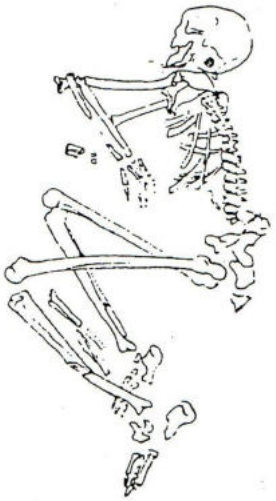

الوضعية الممدّدة

الأثاث الجنائزي مع الهياكل العظمية

الأثاث الجنائزي

العمارة الجنائزيّة _ 4

الأضرحة الجنائزية

ذكرنا في الدّروس السّابقة أنّ معظم القبور التي كانت سائدة خلال فترة فجر التّاريخ قد تواصل استعمالها خلال الفترة التّاريخية، لكنها عرفت بعض التّطوّرات. نجد خلال فترة الممالك النوميدية و الموريّة، أنّ الملوك المحلّيون قد تفنّنوا في بناء قبورهم، فقد عرف بناء الأضرحة تطورا ملحوظا في عهدهم في شمال افريقيا. بحيث أولوا اهتماما كبيرا ببناء هذه المعالم الجنائزية، فتنوعت مقاييسها، أشكالها الهندسية و مخططاتها الداخلية و الخارجية. ويمكن تفسير ذلك بمكانة الدين عند الأهالي، و كذا تطور مظاهر العبادة الجنائزية و تنوعها. و أنّ المهندسون المحلّيون، على الرّغم من استعانتهم بالخبرة الأجنبية، إلاّ أنّهم استطاعوا أن يوفّقوا إلى حدّ كبير بين المظاهر الحضارية المستوردة و التقاليد و الهندسة المحلّية المتنوّعة.

تنقسم هذه الأضرحة إلى نوعين:

1 – الأضرحة المستديرة:

تأخذ شكل أسطواني لها جذع مخروطي مدرج و هي ذات أصول ليبية محلية استوحت شكلها من البازينات الليبية التي تعود إلى فترة فجر التاريخ في بلاد المغرب. لها قاعدة مستديرة وتاج مخروطي على شكل مدرجات. أشهرها ضريح المدغاسن بباتنة، و الضريح الملكي الموريطاني بتيبازة.

2 – الأضرحة البرجية:

ثاني الأنواع هو الأضرحة ذات الشكل البرجي و هي عبارة عن بناء على شكل صومعة تتشكل من عدّة طوابق توضع على مصطبة سفلى و تنتهي بهرم صغير.

تنقسم بدورها الى نوعين:

أ– التي تتميز بقاعدة ذات تصميم مربع ، تحمل طابق أو عدة طوابق ترتكز على مصطبة و تنتهي بهرم صغير ، أشهرها ضريح دوقة بتونس و الضريح المنسوب لماسينيسا بالخروب.

ب– التي تتصف بوجود تصميم سداسي الزوايا مع جوانب منحنية و مستقيمة بانتظام، أشهرها ضريح صبراطة بليبيا و الضريح المنسوب لسيفاكس بسيقا .

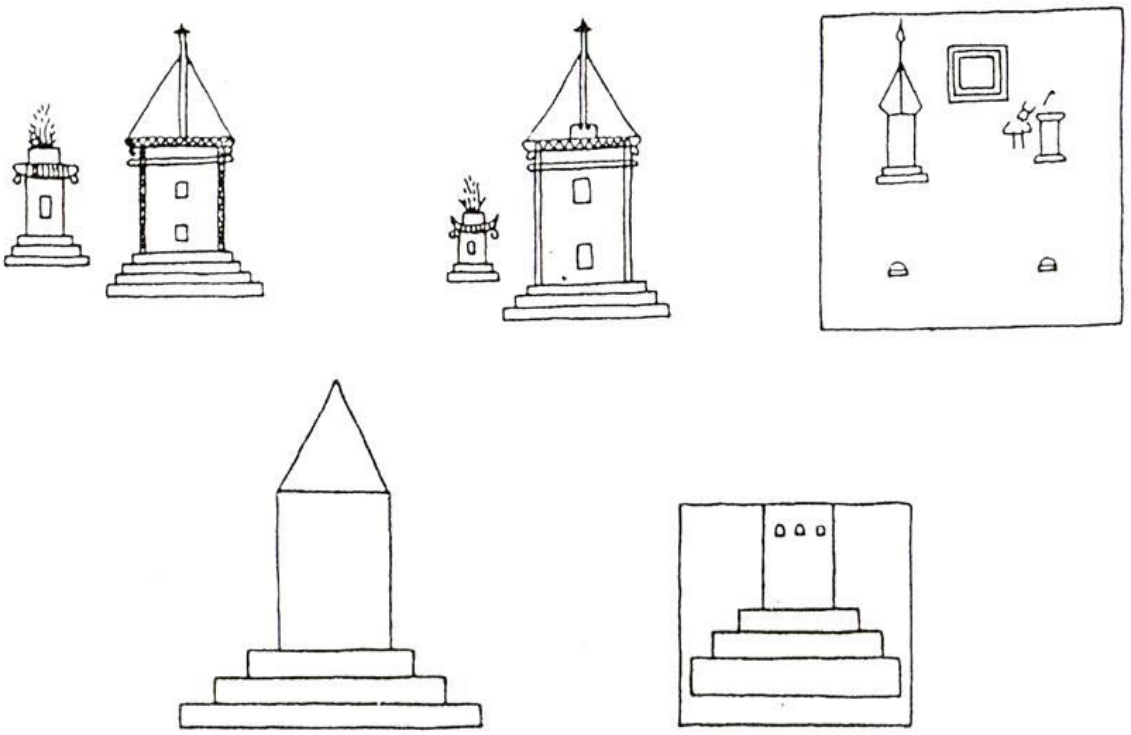

الشكل رقم (35) أضرحة برجية ذات تصميم مربع مرسومة على جدران القبور الفنيقية بجبل مليزة بتونس

3 – أمثلة عن الأضرحة المستديرة:

أ – ضريح المدغاسن:

يقع في مدينة بومية، دائرة المعذر، بين عين ياقوت و باتنة. يبعد عن باتنة ب 40 كم وعن قسنطينة ب 100 كم. شيّد على تلّة منخفضة تقع بالقرب من جبال الأوراس و تشرف على بحيرة جندلي المسمّاة قديما بالبحيرة الملكيّة (Lacus Regius). يحيط بهذا الضريح مقبرة قديمة.

التسمية:

أقدم نصّ يذكر هذا المعلم الهام هو البكري خلال القرن 11 م بحيث يقول: "... و هو قبر مثل الجبل الضخم مبني بأجر رقيق، قد خرق و بني طيقان صغارا و عقد بالرصاص، و صورت فيه صور الحيوان من الأناسي و غيرهم و هو مدرّج النواحي و في أعلاه شجرة نابتة و قد أجمع على هدمه من سلف فلم يقدر على ذلك و في الشرق من هذا القبر بحيرة **مادغوس** "...

يذكر هنا البكري كلمة مادغوس. كما يذكر ابن خلدون في القرن 14م اسم **مادغاسن** ويقول أنه الجدّ الأوّل لفرع البتر. كلمة مدغاسن هي جمع لكلمة مدغاس أو مدغوس بالأمازيغية (الليبية).

تاريخ الأبحاث:

- أولى الحفريات انجزت بين 1849 – 1850 من طرف القبطان كولينو (Collineau). حيث اكتشف المدخل الحقيقي للضريح.
- في 1854 قام المهندس بيكر (Beeker) بوصف الضريح و أشار الى وجود أبواب وهمية.

- 1971-1972 رمّم الضريح من طرف مدرسة ايطالية.

الوصف:

يعتبر هذا الضريح من أقدم و أضخم المعالم الجنائزية بنوميديا. أثبتت التحاليل العلمية التي أجريت على خشب سقف هذا الضريح أنه يعود للقرن الرابع ق.م .

شكله مستوحى من القبور المحلية لفترة فجر التاريخ التي تدعى البازينة. يتشكل الضريح من قسمين، القسم السفلي على شكل أسطواني و العلوي مشكل من أدراج و هو هرمي. ارتفاعه الإجمالي 18.50م و قطره عند أسفل القاعدة 58.86 م، أما محيطه فيتراوح مابين 184.80م في الأسفل و 177م في أعلى القاعدة. يتكون الجزء الهرمي من 23 درجة، متوسط علوها حوالي 0.58م. المدخل الرئيسي متواجد على مستوى الدرجة الثالثة.

يصل علو الجزء الاسطواني 4.43م، و هو متكون من 60 عمودا مرضوما من الطراز الدوري، ارتفاعها حوالي 2.65م و بين عمود و آخر مسافة تقدر بحوالي 2.90 م. فوق هذه الأعمدة نجد العصابة (Tailloir) و فوقها رباط الأعمدة(Architrave) ، و فوق هذا الأخير تمتد الكورنيش ذات العنق المصرية.

الجزء الداخلي :

يقع مدخل الضريح من الجهة الشرقية على مستوى الدرجة الثالثة علوه حوالي 1.60 م وعرضه حوالي 0.70 م. كان مغلقا بواسطة نظام السد الحجري بواسطة بلاطة تنزلق على طول حزتين عموديتين هيئتا على جانبي إطار الباب .

نصل عبر هذا المدخل إلى بهو صغير طوله 1.20 م و عرضه 0.60 م، يشرف على سلم غير كامل ذو 11 درجة، مبنية بالحجر المنحوت و مكسوة بطلاء أحمر. بعد هذا الدرج، نجد رواق طويل يؤدي إلى الغرفة الجنائزية. اختلف الباحثون في نوعية الخشب المستعمل في السقف، بين ركائز من خشب البلوط، وعوارض من خشب الأرز.

تقع الغرفة الجنائزية في مركز الضريح، جدرانها مبنية بالحجر المنحوت، سقفها يصعب معرفة شكله و تقنية بناءه بسبب سقوطه، مدخلها عبارة عن فتحة مربعة يبلغ علوها 1.70 م و عرضها 0.90 م، أما عن مساحتها فهي صغيرة، إذ لا يتعدى طولها 3.30 م و عرضها من جهة الباب 1.45 م و في العمق 1.59 م، كما وجدت خالية من الأثاث الجنائزي باستثناء بعض القطع الفخارية و مقعدان حجريان على طول جانبي الغرفة في اتجاه شرق–غرب عرضهما لا يتجاوز 0.20 م و ارتفاعها 0.30 م.

ب – الضريح الملكي الموريطاني:

يقع شرق مدينة تيبازة على هضبة شمال بلدية سيدي راشد، يعلو سطح البحر ب 261 م.

ذكر هذا الضريح من طرف الجغرافي اللاتيني بومبونيوس ميلا(Pomponius Mela) ، على أنه الضريح المشترك للعائلة الملكية (monumentum commune regiae gentis)، أي أن هذا المعلم دفن فيه عدة أشخاص.

و قد سمي خطأ بقبر الرومية، بسبب الزخرف الناتئ الشبيه بالصليب الذي زينت به الأبواب الوهمية الأربعة.

أول الحفريات أقيمت من طرف الباحث بربروجير (Berbrugger) في 1865–1866 وقد اكتشف دهليز مستدير واسع يؤدي إلى الباب الحقيقي الواقع تحت الباب الوهمي بالجهة الشرقية علوه 110 م، و من الجهة الأخرى يؤدي إلى غرفتين فارغتين و قد كسر باباهما .

قام الباحث كريستوفل بأعمال ترميم بواجهة الجدار الخارجي و المخروط المدرج، و قام بدراسة هامة شملت مختلف عناصره المعمارية و أشكاله الهندسية.

الوصف:

هذا الضريح عبارة عن بازينة كبيرة مثل ضريح المدغاسن، شكلها الخارجي يشبه بازينات فجر التاريخ. له شكل قاعدة اسطوانية و جذع مخروطي مدرج، يبلغ ارتفاعه 33م بعدما كان 43 م في البداية. و قد بني هذا الضريح فوق قاعدة مربعة واسعة طول كل جهة منها 64م، تبرز قليلا عن سطح الأرض .

يبلغ ارتفاع القاعدة السفلى من سطح الأرض إلى أسفل الأعمدة 2.53م ، أما جدران القاعدة الاسطوانية تتكون من 13 صف مبنية بالحجر المنحوت، و حولها 60 عمود مرضومه من الطراز الأيوني القديم بحيث نجد بين كل 15 عمود هيئ باب وهمي ، هذه الأبواب الوهمية الأربعة يتشكل كل باب منها على بلاطة كبيرة نحتت في حجر كلسي صدفي صلب. يتكون من أربعة صفائح غير متساوية مشكلة باب ذو مصرعين يصل ارتفاعه إلى 6.90 م، كما نحت على هذه الصفائح زخرف ناتئ على شكل عارضة (Croisillon) يشبه الصليب، كل باب مؤطر بعمودين من الطراز الأيوني، و لم يبقى إلا الباب الشرقي أما الأخرى فقد فقدت إطارها و لم يبقى منها سوى الصفائح السفلى.

و فوق تيجان الأعمدة يمتد الطنف أو الكورنيش حيث تتشكل من حجرين بارزين على الكتلة الاسطوانية، السفلي أملس أما العلوي فيحمل نتوء في أعلاه لا يتجاوز 0.105 م. و فوقه مباشرة ترتكز الدرجة الأولى من المخروط المدرج الذي بدوره يتشكل من 37 درجة علو كل منها 0.58 م مبنية بالحجر المنحوت و ينتهي في قمته بمساحة مسطحة مثل المدغاسن.

الجزء الداخلي:

بعد اجتياز المدخل المتواجد في الجهة الشرقية، أسفل الباب الوهمي، نصل الى بهو ضيق موجه شرق–غرب طوله 4.85 م، عرضه 0.83 م و علوه 1.25 م. أرضيته مبلطة و سقفه مبني بالحجر الكبير، يصل هذا البهو إلى قاعة كبيرة موجهة شرق–غرب طولها 5.33 م،

علوها 3.20 م و عرضها 2.52 م، أرضيتها مبلطة بحجارة منحوتة مستطيلة و سقفها مقبب، و قد سميت بالقاعة ب. نجد بهو الأسود الذي سمي كذلك نسبة إلى زخرف ناتئ يمثل أسد و لبؤة نحتا فوق عتبة الباب الذي يؤدي إلى بهو ثاني ضيق و قصير لا يتجاوز 2.08 م و ينتهي بسلم من 7 درجات. بعد صعوده نصل إلى رواق مستدير مقبب ذو أرضية مبلطة، يبلغ طوله 149 م، علوه 2.42 م و عرضه يتراوح ما بين 2.04 م و 1.98 م.

و على بعد 3.37 م من بداية الرواق تمتد سلسلة من الكوات الصغيرة عددها 52 كوة، تبعد كل واحدة عن الأخرى بمسافة 3 أمتار، ربما كانت تحمل مصابيح لإنارة الرواق أثناء إقامة مراسيم الدفن للميت أو الاحتفالات الدينية. يؤدي هذا الرواق إلى مركز الضريح أين نجد غرفة أولى مستطيلة موجهة شمال–جنوب، طولها 4.04 م، عرضها 1.51 م، و علوها 2.73 م، سقفها نصف دائري، بعدها نجد بهوا ثالثا صغير طوله 3.50 م يؤدي إلى غرفة ثانية و أخيرة مستطيلة موجهة شمال–جنوب طولها 4.04 م، عرضها 3.06 م و علوها 3.43 م، بنيت بالحجارة المنحوتة و سقفها مقبب، بها 3 كوات على جدرانها الجانبية الثلاثة و هي غرفة الدفن المركزية.

ضريح المدغاسن

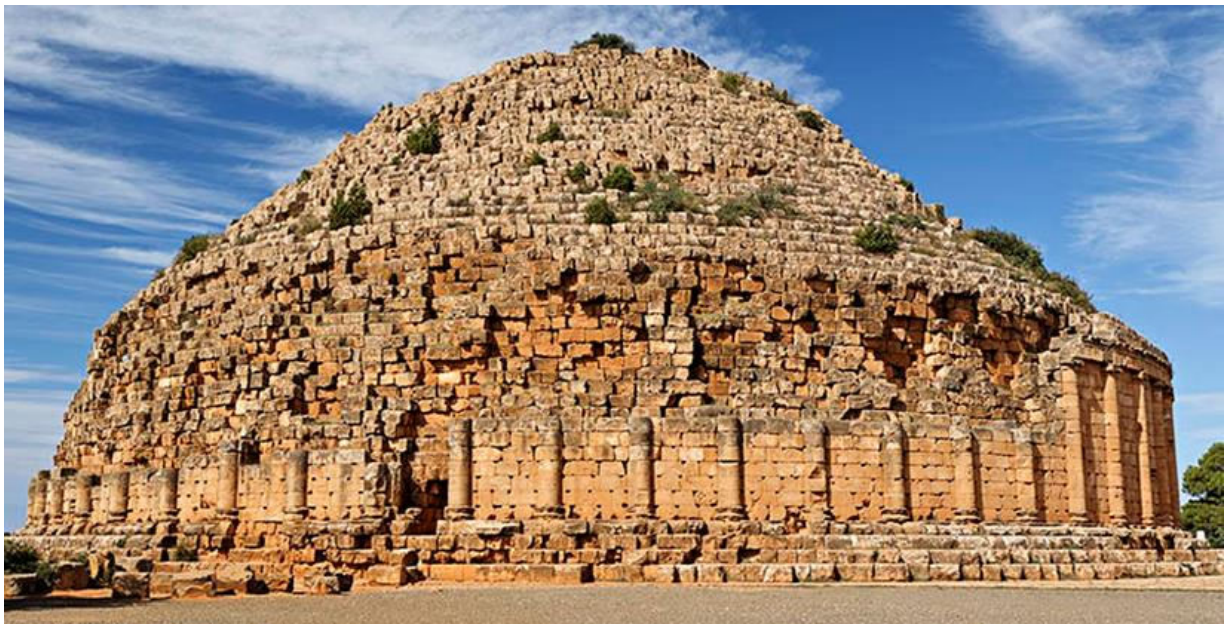

الضريح الملكي الموريطاني

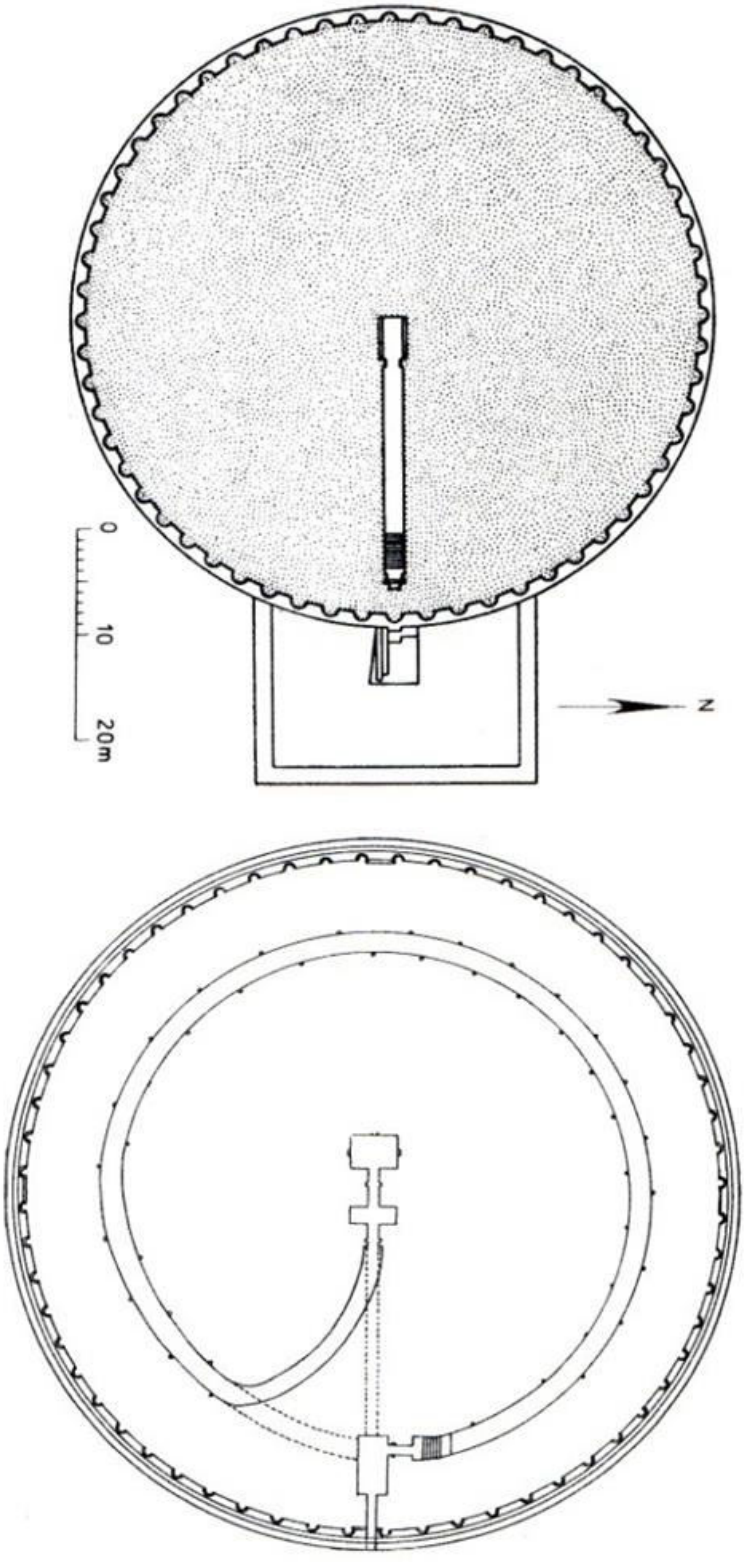

ضريحي المدغاسن و الموريطاني

4 – أمثلة عن الأضرحة البرجية :

– ضريح الخروب: (المدعو صومعة الخروب)

يقع ضريح الصومعة ببلدية الخروب على بعد 16 كلم جنوب شرق مدينة قسنطينة (كيرتا) .

هو مربع الشكل و بعدة طبقات. ينتهي بسقف هرمي، يحتمل أن يتراوح علوه 30م .

يوجد بالطبق الأول أربعة أبواب وهمية مزخرفة بدروع دائرية الشكل، أما الطبق العلوي، المهدم اليوم، يحتمل أن يكون على شكل غرفة صغيرة بداخلها تمثال من البرنز و محاطة بأعمدة مربعة الشكل.

غرفة هذا الضريح مربعة الشكل و مغلقة، الشيء الذي ساعد على الاحتفاظ بالأدوات الجنائزية حتى بداية القرن العشرين و في سنة 1915 فتحت هذه الغرفة من أجل التنقيب. وأخرج ما كانت تحتويه من أدوات جنائزية فريدة تتمثل في: أسلحة (الممثل شكلها على إحدى نصب معبد الحفرة)، أوسمة يظهر عليها التأثيرات الهلنستية، و جرار روديه وأخرى إيطالية، تبين لنا مدى التبادلات التجارية ما بين نوميديا و عالم البحر الأبيض المتوسط. كما وجد إناء فضي به بقايا لعظام محروقة تمثل شخص كبير في السن و طفلا ذو عاهة حركية. هذه الأدوات الجنائزية، رممت و أجريت عليها دراسة بمناسبة المعرض الذي أقيم بألمانيا، و بمدينة بون سنة 1979 (Die Numider).

ضريح الخروب

– ضريح سيقا: (المدعو كركر العرايس)

ضريح عائلة الملك سيفاكس بسيقا (بني صاف)، هو أكبر الأضرحة البرجية التي بنيت قبل الفترة الرومانية علوه يقترب من 30 م بينما يبلغ عرضه حوالي 15 م .

الموقع:

يقع ضريح سيقا بمدينة سيقا في الغرب الجزائري، بني على مرتفع مطل على المدينة، على الضفة اليمنى لوادي التافنة وعلى حوالي 4 كلم من مصبه.

التسمية:

يحمل حالياً تسمية كركر، يدعوه سكان المنطقة بكركر العرايس حيث العادة تقضي بأن يقوم الشبان المقبلين على الزواج بالدوران حول الضريح عدة مرات بهدف ضمان الوفاء الأبدي للعروس. يدعى كذلك ضريح سيفاكس، لكن نعلم أنّ هذا الأخير مات سجيناً قرب روما.

الوصف:

يتكون الضريح من عنصرين أساسين:

الكتلة الخارجية والمنشئات ما تحت الأرضية. القسم المرئي من المبنى متهدم حاليا إلى حد كبير. يتكون من مبنى ذو ستة وجوه فيها على التناوب وجه منحنى وأخر مستوي. وضع جسم الضريح فوق قاعدة تتكون من ثلاث درجات محاطة بسطح مبلط .

استعملت في المبنى حجارة منحوتة كلسيه سهلة التفتت ومرتبطة ببعضها بالجير.

يتكون هذا القسم من ثلاث طبقات، الطبقة الأولى عبارة عن قاعدة متواجدة فوق دكة ذات ثلاث درجات. الطبقة الثانية تقدم في كل وجه مقعر بابا وهميا مبني، بها عمودين بتيجان أيونية تحمل نضدا في الحنية المجوفة المدعوة بالحنية المصرية .

الجزء الداخلي :

تتكون المنشآت القبوية من مجموعة من الغرف. مبنية الواحدة بجانب الأخرى، على طول 45 م متبعة نفس مخطط البناء الخارجي، بينما الاتصال فيما بينها فليس دائما، يكون المجموع ثلاثة أقسام قصيرة. يطل كل واحد على الخارج بباب. يتألف أحد الأقسام من خمس قاعات والثاني من أربع والثالث من قاعة واحدة. والمجموع عشر قاعات لها تقريبا نفس الارتفاع ونفس العرض (العرض 1,95) .

لقد سجل في داخل هذه الأبنية تواجد أثاث جنائزي: ممشط، كسر فخارية مصنوعة باليد أو مقولبة على الدولاب، قطع جرار، أحدها عبارة عن فوهة بها كتابة بونية غير كاملة، كسر زجاجية، قطع رصاص، شفرة سكين و مشربيتان هما الوحيدتان اللتان وجدتا كاملتين. وإذا كانت قطع الأثاث الجنائزي تعود إلى نهاية القرن الثالث ق. م، فإن معظم القطع الأخرى تؤرخ بالقرن الثاني ق.م.

ومن المعتقدات التي كانت شائعة فيما يخص طرق الدفن المتعددة، أنه كان دفن جماعي لكي لا يحس الميت بالعزلة وأنه وحيدا وتتجسد هذه المعتقدات في العثور على جدران غير سميكة تربط بين القبور.

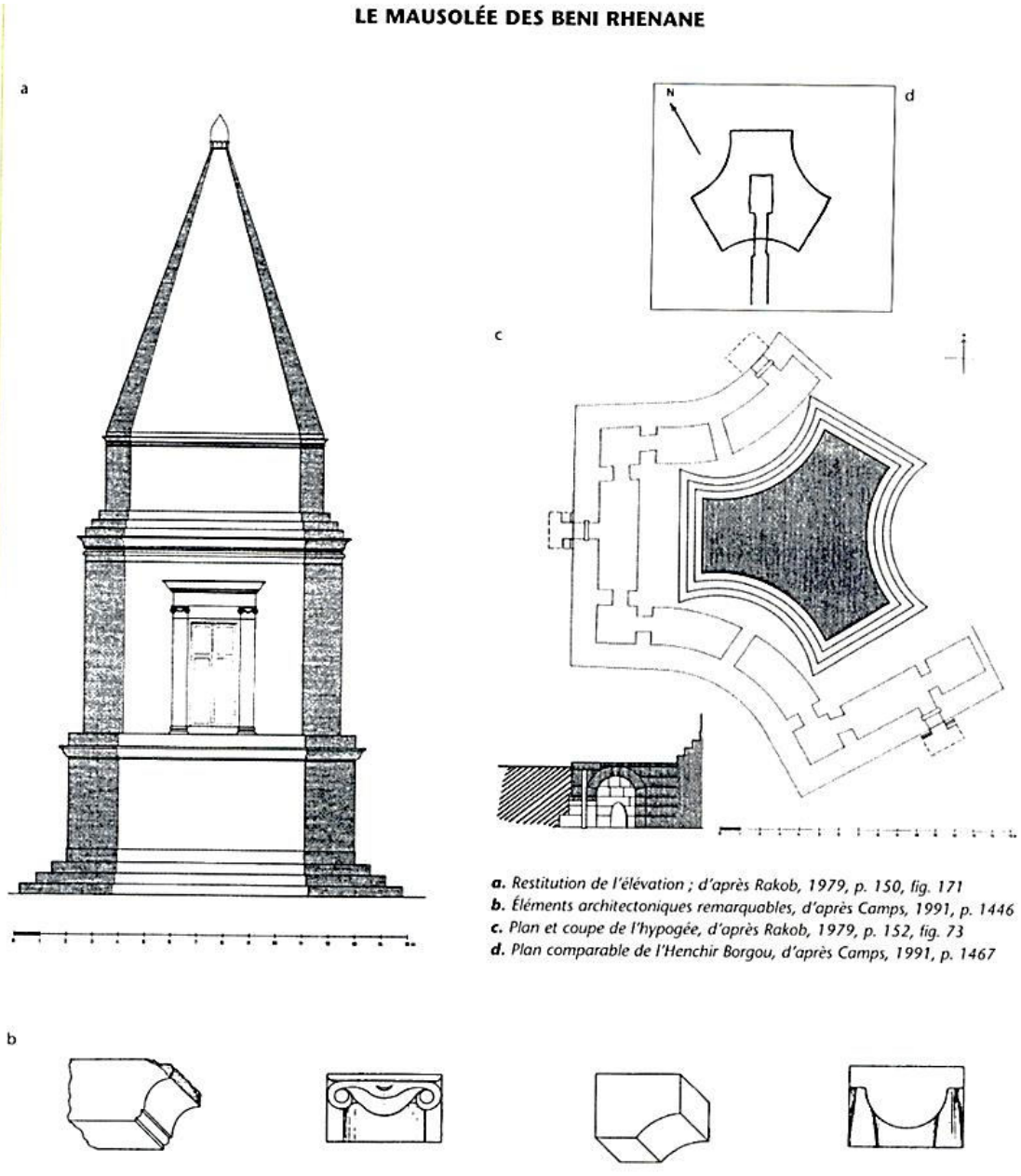

a. *Restitution de l'élévation ; d'après Rakob, 1979, p. 150, fig. 171*
b. *Éléments architectoniques remarquables, d'après Camps, 1991, p. 1446*
c. *Plan et coupe de l'hypogée, d'après Rakob, 1979, p. 152, fig. 73*
d. *Plan comparable de l'Henchir Borgou, d'après Camps, 1991, p. 1467*

ضريح سيقا

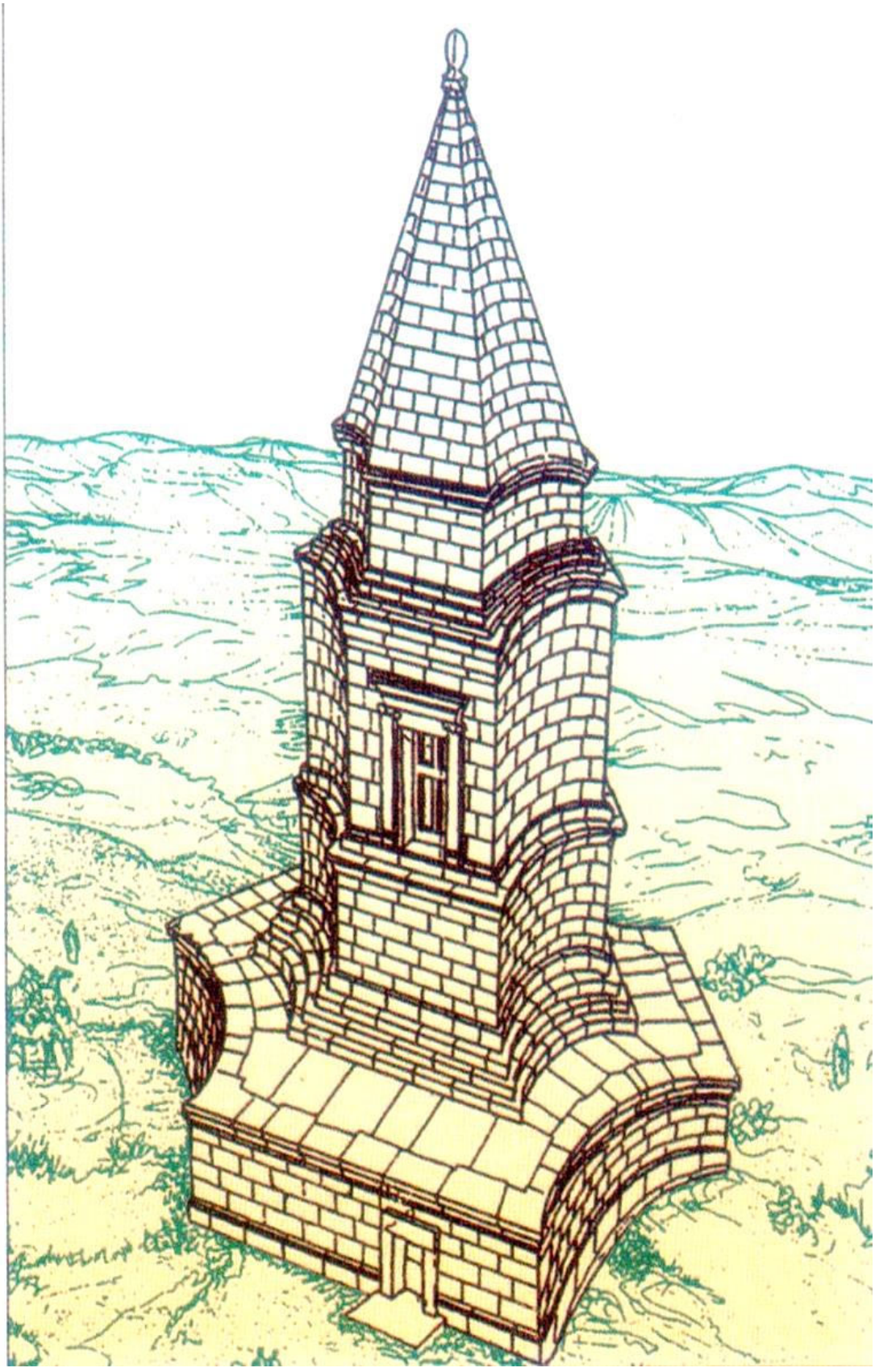

ضريح سيقا _ إعادة تصوّر

الأنصـــــــاب

من بين المعالم الاثرية المميزة للفترة الليبية البونية نجد الانصاب التي تعتبر من ابرز انواع النحت البارز المعروف خلالها. فهي دعامة من الحجر ذات ارتفاع تصل في معدلها ما بين المتر و نصف المتر. يبقى ان اقصر طول لها قد يصل الى 20 سم، كما بالإمكان ان يصل اقصى ارتفاع لها الى 2 م. تنصب داخل المعبد أو في محيط التوفات، عند تقديم قربان للآلهة. أو توضع قرب قبر شخص قد توفي.

1-تعريف النّصب:

- **لغة:**

النّصب من النّصيبة و النّصب: و هو كل ما نصب فيجعل علما. و النَصبُ و النُّصُبُ: كل ما عبد من دون الله تعالى. الجمع أنصاب و التي هي الأوثان، فهي حجارة كانت حول الكعبة، تنصب فيُحل عليها فيذبح لغير الله تعالى. النصب مصدر نصبت الشيء أي أقمته.

في اللغة الفرنسية فهو (La Stèle) اسم مؤنث مفرد مأخوذ من الكلمة اللاتينية (Stela) الذي هو شاهد قبر من الحجر. الكلمة نفسها مأخوذة من الكلمة الاغريقية (Stêlê) التي تعني كتلة من الحجر المنتصب، نصبٌ.

- **اصطلاحا:**

النصب المدفني أو حجر الشاهد المدفني بالنسبة لعلم الاثار هو عبارة عن بناء مدفني. النصب معلم أحادي يتشكّل من حجر منتصب. تكمن الغاية في تشييده في تحديد موقع القبر من جهة و من جهة أخرى استحضار للآلهة و تخليدا للشعيرة المقدمة. بالإضافة الى اعتبار ذلك تزيينا لقبر صاحبه.

الانصاب عبارة شواهد قيّمة تعبر عن تفكير الانسان الذي قام بها و عاصرها، عن معتقداته و رغباته. في غالب الاحيان نجدها مصنوعة من المواد المحلية التي تتوفر في ذلك المكان مثل الكلس، الحجر الرملي الاحمر و حتى الرخام. نجدها تأخذ أشكال مستطيلة، و أحيانا مربعة تنتهي بجبهة مستديرة أو مثلثية.

2-أنواع الأنصاب:

نجد نوعين من الأنصاب، الجنائزية و النذرية.

- **الأنصاب الجنائزية:**

في البداية توضع على القبور ألواح حجرية غير منحوتة، ثم أخذت أشكال مختلفة. نجد عليها رمز الاله الذي كان معبود في تلك المنطقة من طرف الشخص المتوفي. كما نجد معلومات حول الشخص المدفون مثل اسمه، كما يمكن أن يجسّد فوق النصب اما وحده رافعا يده أو مع أفراد عائلته. ويمكن ايجاد بعض الإهداءات أو الاعمال الخيرية التي قام بها في حياته.

- **الأنصاب النذرية:**

هذا النّوع مخصّص للإهداءات و التشكرات تقدّم للآلهة بمناسبة تقديم القرابين و الأضاحي أو بعد تأدية أيّ نذر للإله. هذا الأخير يظهر في السّجل العلوي اما على شكل شخص كامل أو نصفه العلوي أو رمز من رموزه كالهلال، القرص، النجم ...الخ. كما نجد على النصب نوع الهدية و كذا المهدي، هذه المعلومات تكون اما مكتوبة أو مصوّرة.

نصب جنائزي

نصب نذري

3-أمثلة لأهمّ مجموعات الأنصاب:

- **أنصاب قسنطينة:**

أعطتنا منطقة قسنطينة أنصاب متنوّعة و كثيرة عثر عليها في مناطق كثيرة مثل معبد الحفرة، الصخرة، كدية عتي، المنظر الجميل، المنصورة ... الخ.

هناك مجموعة من الأنصاب متواجدة بمتحف سيرتا بقسنطينة، مكتشفة و مدروسة من طرف أندري بيرتيي (André Berthier) عام 1952. نشرت في كتاب له مع روني شارليي (René Charlier) تحت عنوان: (Le sanctuaire punique d'El Hofra)

المجموعة الثانية من الأنصاب هي تلك المتواجدة حاليا بمتحف اللوفر بفرنسا. تعتبر الأقدم من حيث الاكتشاف الذي تمّ عام 1875 من طرف الايطالي كوستا لازار (Costa Lazare) تمت دراستها من طرف فرونسوا برتروندي (François Bertrandy) و موريس زنيسر (Maurice Sznycer) في كتاب تحت عنوان (Les Stèles Punique de Constantine)، صدر عام 1987.

تعتبر هذه الأنصاب ذات أهمية بالغة كتلك التي بلغتها أنصاب قرطاج.

- **أنصاب قرطاجة:**

عثر بقرطاجة على عدد معتبر من الأنصاب الجنائزية و النذرية. أهمّها هي التي عثر عليها بمعبد صلامبوا . بدأت الحفريات في قرطاجة تحت الوصاية الفرنسية ابتداءا من عام 1881. اذ قام القديس ماري بدراسة و احصاء كل الأنصاب التي تمّ العثور عليها. و في عام 1875، تمّ العثور، خلال الحفريات، على أكثر من 2000 نصب نذري وسط قرطاجة العتيقة. انّ غالبية الأنصاب كانت تحت كوم من التراب و الخراب و أخرى غرست في الأرض و ألصقت على الجدران. و هناك مجموعات اختفت فجأة.

4-محتوى الأنصاب:

احتوت الأنصاب غالبا على معلومات قيّمة تساعدنا في فهم الفترة الليبية البونية في العديد من المجالات دينية كانت أو عقائدية، أو حياة يومية اجتماعية و اقتصادية. تحمل مشاهد تصويرية أو كتابات بونية أو ليبية و حتى الاغريقية.

تحمل الأنصاب الجنائزية، أحيانا، كتابة بها معلومات حول المتوفي و حياته و كذا الاله المعبود. و أحيانا تجسيد للمتوفي في صورة له و هو رافع يده كأنّه يودّع الدنيا و أقاربه.

أما الأنصاب النذرية، فهي أغنى من حيث المعلومات من كتابات و تصاوير للمهدي و القرابين و حتى الاله و رموزه. يمكن أن نجد رموز تصويرية تشغل الجبهة مثل الرموز الكونية كالهلال،

قرص الشمس و النجمة. قد تكون الكتابة أسفل النّصب و فيها الاهداء و قد ينقلب الترتيب وتصعد الكتابة الى أعلى و الرموز التصويرية الى الأسفل.

- **العناصر المنحوتة:**

نجد أعلى الجبهة نحت لرموز دينية، أسفله نجد نحت للحيوانات المقدّمة كنذر و أدوات العبادة و نحت لأشياء دنيوية، حيث يراعي التناسق في توزيعها في بعض الأنصاب، حيث الرموز الدينية هي الأكثر.

تلك التصاوير عبارة عن نقش بسيط منها **القارورة المؤلّهة** و هي ليست كما إعتقده البعض أنها عبارة عن الاواني التي تحوي رماد الأضحيات و التي قدّست فيما بعد، لكنها عبارة عن معبودات تجسيدا لآلهة الخصب و حامية الأموات. يعود رمز القارورة للنصف الثاني للقرن الخامس أين ينتشر ثمّ يصبح نادر خلال القرن الثالث ق م ثمّ يختفي.

بعد رمز القارورة، يأتي **رمز تانيت** و هو الأكثر انتشارا. نجده منحوت بشكل حفر على معظم الأنصاب المخصّصة لهذه الالهة و المنتشرة في الأماكن التي قدّست فيها. حيث نجدها تنحت في أعلى النصب و الأشكال الأخرى تكون في الوسط و هو مكوّن من ثلاثة أجزاء:

- القاعدة نحتت على شكل مثلث متساوي الأضلاع أو شبه منحرف أو قمع مخروطي
- فوق المثلث مباشرة هناك خطّ أفقي يكون ممدود عند طرفيه نحو الأعلى.
- فوق هذا الخطّ سواء مباشرة أو بقليل من الفراغ. هناك قرص يعلوه أحيانا هلال، حيث نجد خطوط القرص و الهلال بسيطة أو مزدوجة. و أحيانا نجد الشكل يتوضع على قاعدة منحوتة.

يظهر هذا الرّمز ابتداءا من القرن الخامس ق م. و هو ذو دلالة و قيمة دينية متداول كثيرا على الأنصاب النذرية حيث نجدها مرفقة بأشكال منقوشة مثل اليدّ، الصولجان، زهرة اللوتس...

اضافة الى هذه الرموز نجد **رمز اليدّ** الذي يتكرّر و يحتلّ الجزء العلوي للنصب عند الجبهة. نتساءل عن غرضها، هل هي رمز الصلاة و صورة بسيطة للمنذر؟ أم أنّها يدّ الاله المباركة و الواقية؟

بحكم وضعية الشكل و المكان الذي تحتله اليدّ المنقوشة على النّصب تأكدّ الفرضية الثانية. فاليدّ كناية عن المثول الالهي و اليدّ المباركة و أنّه سمع أو يسمع الصلاة. ثم تأخذ اليدّ الخاصية الوقائيّة و التي تستمرّ عند سكان شمال افريقيا تحت اسم يدّ فاطمة.

نجد كذلك رمز **الصولجان** ممثل بنحت خطّي بسيط أو مزدوج متغيّر كثيرا، يعلوه قرص الشّمس و الهلال من الأعلى. و الصولجان من بين الادوات المقدّسة و التي تلعب دورها في المعابد. لها علاقة وطيدة مع رمز تانيت، حيث نجد الصولجان يؤطّر رمز تانيت و مرّة أخرى يندمج معه أو يكون في قمة النّصب على الجبهة حيث نجد شكله يتغيّر من القرص العادي على ساق أو مكوّن من ثلاثة أقراص متناضدة، و هذا الرّمز يكون مرفوق برموز أخرى، سواء تكون تحته، بالقرب منه أو يعلوها كل من اليدّ و زهرة اللوتس و رمز تانيت و النخلة.

نجد من الرموز كذلك، رمز **الهلال على القرص**، بحيث وُجد الهلال ذو الأطراف الموجّهة نحو الأسفل يحيط بقرص صغير نجده داخل الجبهة. حيث القرص اشارة الى كوكب الشمس المشعّ أما الهلال كناية عن القمر، و هو شكل مركّب خاص بتانيت و الشمس خاص ببعل. لكن أحيانا نجد أنّ الرّمز على هيئته المعروفة غير مكرّس دائما لتانيت بما أننا نجده على الأنصاب المكرّسة لبعل حمون بمفرده و فيما بعد عند نهاية العصر البوني نجدها على الأنصاب مهداة لساتورن.

هناك عناصر أخرى **زخرفية و معمارية** نحتت على الأنصاب مستوحاة من الواقع . نجد أنصاب تمثّل واجهات المعابد ذات الجبهة المثلثية تتوضع على افريز مزيّن بأشكال مختلفة منها البيضيات، الدمعيات، التقويسات، الحنيات، و الكلّ مدعّم بعمودين ذات تيجان أيونية أو مركّبة.

كما نجد عناصر زخرفية نباتية مثل النخيل، الرّمانة، الزيتون و زهرة اللوتس. و عناصر حيوانية مثل الحصان، الطيور، الأسماك و الكبش ... الخ. دون نسيان العناصر الادمية وتصاوير العبادة، و العناصر التي تمثّل الحرف و أخيرا الكتابات المنقوشة.

كل هذه العناصر المنحوتة تقدّم لنا معلومات جدّ مهمّة حول انسان الفترة الليبية البونية، طريقة عيشه و معتقداته.

تحليل نص من كتاب التواريخ لهيرودوت

"اقتبس الاغريق عن الليبيين لباس و درع تماثيل اثينا، غير ان ملابس الليبيات مصنوعة من الجلد و أن الأهداب المدلاة من الدرع ليست ثعابين، و لكنها عبارة عن سيور جلد الحيوان. و أما فيما عدا ذلك، فالملابس و الدروع متشابهة. بل ان الاسم الذي يطلق على درع (البالاديات des Palladia) تماثيل اثينا ات من ليبيا، لأن الليبيات يضعن فوق ملابسهن جلود ماعز خال من الشعر، محاط بأهداب و مصبوغة باللون الأحمر. فمن هذه الايجيات (Eggées) الليبيات استخرج الاغريق اسم ايجيد (égide) أي الدرع. و أعتقد أيضا أنه انطلاقا من هنا استعملت الأصوات الرقيقة في الطقوس الدينية، لأنّ الليبيات يعملن دائما من أجل سماع هذه الأصوات الشجية التي يتقننها. و من الليبيين أيضا تعلّم الاغريق قيادة العربات ذات الخيول الأربعة".

(هيرودوت، VI ، 189)

تحليل النصّ

1-كاتب النص: هيرودوت.

2-الكتاب: فقرة 189 من الكتاب الرابع لكتاب التواريخ.

3-الفكرة العامة.

4-فقرات النص و أفكارها.

5-الكلمات الصعبة.

6-الأعلام: الشخصيات و الأماكن الجغرافية (الليبيين- أثينا- الاغريق- ليبيا).

7-النتائج: المعلومات و أهمية النّص.

1-كاتب النص: هيرودوت.

هيرودوت مؤرّخ يوناني، لقب بأبي التاريخ. عاش خلال القرن الخامس ق. م. حسب معظم المصادر التاريخية.

هيرودوت هو اسم مركب من كلمتين: الأولى "هيرا"، و هي الربة الاغريقية، و الثانية "دوت"، من أهدى و أعطى. فالاسم بالكامل يعني "هدية هيرا" أو "عطاء هيرا" تيمناً بالربة هيرا.

ازداد في هاليكارناس الواقعة في جنوب اسيا الصغرى، و تسمى حاليا بودروم (Bodrum)، مابين 489 و 487 ق. م.، أو 485 ق.م. في أسرة معروفة، لها دور في توجيه الحياة السياسية.

قام برحلة اكتفى خلالها بالاستماع و المشاهدة و السؤال و النقاش و التفكير، قبل أن يستقر، ليسجل ما شاهده و سمعه في كتلبه "التواريخ" الذي ضمن لهيرودوت الخلود في دنيا المؤرخين على الأقل.

حين انتهى من أسفاره، استقر بمدينة ثوري (Thurii) الواقعة جنوب ايطاليا حوالي 444 ق.م.، و ظلّ بها الى أن وافته المنية حوالي 425 ق.م.، و دفن بها. وخلال اقامته بثوري عكف على كتابة سفره الضخم الى أن أدركته الموت قبل أن يتممه.

2-الكتاب: فقرة 189 من الكتاب الرابع لكتاب التواريخ.

يعتبر كتاب التواريخ أقدم المصادر المكتوبة التي تتحدّث عن شعوب البحر الأبيض المتوسط خلال القرن الخامس قبل الميلاد، بعد ملاحم هوميروس و اشارات هيكاتي الملطي. و نظرا لأهمية المعلومات التي يتضمنها، فقد ترجم الى العديد من اللغات و نشرت حوله العديد من الدراسات و الأبحاث في العالم، و خاصة المناطق التي يعنيها هيرودوت بكتابه.

كتاب "Historia"،"التواريخ" أو "تحميص الأخبار". فكلمة هيستوريا اللاتينية و مقابلها باليونانية تعني (الفحص) أو (البحث) و كأنّ المعنى ينصبّ على خاصيتين من خواص الفكر الاغريقي في ذلك الوقت و هما : الرؤية (المشاهدة) ثمّ التساؤل (الاستفهام).
يتكوّن هذا الكتاب من تسع كتب أو أحاديث، يهمنا منها الكتاب الرابع الذي يحدثنا عن شمال افريقيا (ليبيا) و سكانها الليبيين. و للحديث عن الليبيين انطلق من هجرة الاغريق الى قورينة و منها انتقل لعرض ما يعرفه عن ليبيا و طبيعتها و سكانها.

3-الفكرة العامة:

تأثّر الليبيين بالإغريق

4-فقرات النص و أفكارها:

أ- (اقتبس الاغريق ... أي الدرع) : اقتباس الاغريق عن الليبيين، لباس و درع الالهة أثينا.

ب- (و أعتقد ... التي يتقنها): اقتباس الاغريق عن الليبيين، الأصوات الرقيقة المستعملة في الطقوس الدينية.

ت- (و من الليبيين ... الأربعة): تعلّم الاغريق من الليبيين قيادة العربات ذات أربعة خيول.

5-الكلمات الصعبة:

ايجيد: أو الدرع التقليدي للربة أثينا، و من المرجح أن درعها كان مصنوعا من جلد الماعز الذي يعتبر واحد من أقدم أشكال السلاح الانساني.

سيور: السَّيْر : خيط من جلْد ونحوه أو قطعة مستطيلة من الجلد تُستخدم لربط الأشياء مع بعضها أو لتثبيتها في موقع ما.

6-**الأعلام**: الشخصيات و الأماكن الجغرافية (الليبيين- أثينا- الاغريق- ليبيا).

الليبيين: سكان شمال افريقيا القدامى. كانوا يسمون الليبيون أو اللوبيون. عرفوا كذلك من طرف الاغريق و المصريين.

أثينا: تعتبر أثينا ربّة الحكمة و الحرب والزراعة ومانحة الزيتون إلى البشر ومن أحب الأشياء إليها الزيتون والبومة والديك والثعبان فهي أنعمت على البشر فوهبتهم شجرة الزيتون و هي حامية مدينة أثينا التي سميت باسمها. تروي الميتولوجيا الاغريقية أنها خرجت بكامل لباسها و أسلحتها، تصرخ صرخات الحرب، من رأس زيوس أبيها، سماها الرومان باسم مينيرفا.

يرى هيرودوت أنها ليبية. و حسب بيدج في كتابه آلهة مصر فإن آثينا إفريقية الأصل وهي جزء من الآلهة الثلاثية الليبية التي تتكون من بالاس وآثينا ومادوسا.

الاغريق: تشمل بلاد اليونان شبه جزيرة البلقان و الجزر المنتشرة في بحر ايجه و كذلك المدن اليونانية المنتشرة على ساحل اسيا الصغرى. تطلّ على البحر الأبيض المتوسط جنوبا و البحر الأدرياتيكي غربا و بحر ايجه شرقا. و هي قريبة من منبع الحضارات (الشرق القديم) كما أنّ جزيرتي كريت و قبرص تعتبر معبر رئيسي للاتصال الحضاري و التجاري بتلك الجهات و بآسيا الصغرى و ساحل افريقيا الشمالي.

كانت حضارة الاغريق، حضارة بحرية و تجارية، و سهل لها هذا الانتقال في البحر السفر الى جهات متعدّدة هاجروا اليها و استوطنوها أو عادوا منها بأصول و أفكار من حضارات أخرى.

ليبيا: هي الرقعة الجغرافية الواقعة في شمال افريقيا، من الحدود الغربية لمصر حتى أقصى الغرب مع حدود المحيط الأطلسي.

7-**النتائج**: المعلومات و أهمية النّص.

من خلال أحاديث هيرودوت نستشف أن العلاقات بين الليبيين و المستوطنين الاغريق كانت في أغلب الأوقات جيدة. و قد أدت هذه العلاقات السلمية الى تبادل التأثيرات بين الليبيين و الاغريق. و يشير هنا (VI، 189) الى أن الاغريق اقتبسوا عن الليبيين لباس و درع الربة أثينا. فهل لهذا الاقتباس علاقة بأصل الربة أثينا و التي قد تكون ليبية مثل الرب بوسيدون؟

و يؤكد هيرودوت أنّ اسم البالاديات (Palladia) الذي يطلق على درع تماثيل الربة أثينا أصله ليبي، مما يسير مع طرح الأصل الليبي للربة أثينا و بكل ما يتعلّق بها من ملابس.

يعترف هيرودوت هنا بأنّ الليبيات يقمن بالطقوس الدينية، و يستعملن أصوات شجية. و هذا تأكيد جديد لكون الليبيات كن يقمن بالطقوس الدينية. و لا ندري ما هي هذه الأصوات الشجية، هل الزغاريد أم قراءة الأدعية؟ أم ماذا؟ و هل اقتبس الاغريق هذه الطقوس الدينية عن الليبيات كما يوحي بذلك هيرودوت؟ من المحتمل ذلك.

يذكر هيرودوت هنا أيضا أنه من ضمن الاقتباسات التي أخذها الاغريق عن الليبيين هي استعمال العربة التي تجرها أربعة خيول. و أنّ الفضل في تعرفهم عليهم يعود لليبيين.

الليبيون مدينون لهيرودوت بالكثير، اذ أنه اهتمّ بتسجيل تاريخهم و حضارتهم و بيّن أنهم السكان الأصليون لكل شمال افريقيا، و أنهم ساهموا حضاريا في بناء العالم القديم، بل و أكد أكثر من مرّة أنهم علموا الاغريق الكثير من الأشياء كتربية الخيول و ركوبها، و استعمال العربات، و عبادة بعض الأرباب و كذا الملابس و الأسلحة ...الخ.

المراجع:

- BARTOLONI P., « Nécropoli puniche della costa Nord-Orientale del Capo Bon », *in Prospezione archeologica al Capo Bon* – I, Roma, 1973, p. 9-68.
- Berthier (A), « Un Habitat Punique à Constantine », In Ant. Afr., T. 16, 1980, pp. 19 -23
- BERTHIER A. et CHARLIER R., *Le sanctuaire punique d'El Hofra,* Alger, 1955.
- BERTHIER A., « Du mot Numidia accolé aux noms antiques de Constantine », *Ant. Afric,* 3, 1969, p. 55-67.
- BERTHIER A., « Un quartier d'habitat punique à Constantine », *Ant. Afric,* 16, 1980, p. 13-26.
- Bertrandy (S.), « Cirta », in *13 | Chèvre – Columnatien*, Aix-en-Provence, Edisud (« Volumes », no 13), 1994, p. 1964-1977.
- Cherbonneau, Rec de Con stantine, T. 1 , 1853,
- Cintas (P), «Découvertes Ibéro-puniques d'Afrique du Nord», In CRAI, 1953, p. 52 et Suiv
- Cintas (P), Manuel d'Archéologie Punique, T. II : La Civilisation Carthaginoise, Les Réalisations
- CINTAS P. et GOBERT E.G., « Les tombes du Jebel Melezza », *in Revue Tunisienne,* 1939, p. 135-198.
- CINTAS P., « Une ville punique au Cap Bon, en Tunisie », *in CRAI,* 1953, p. 256-260. DOI : 10.3406/crai.1953.10121
- Daremberg (CH), Saglio (Edm), Pottier (Edm), Dictionnaire des Antiquités Grecques et Romaines, T3. , 2ème Partie (L-M), Hachette, Paris, S.D, p. 1592)
- Debruge, Fouille des grottes des Ours et Mouflons, R.S.A.C. 1912.
- DOUBLET (G.) ET GAUCKLER (P.), Catalogue du musée de Constantine, Paris 1892.
- Fantar (M), Kerkouane, Cité Punique du Cap Bon (Tunisie), T. II : Architecture domestique, INAA, 1985
- Fantar M'h. H. , *Kerkouane, cité punique au pays berbère de Tamezrat*, éd. Alif, Tunis, 2005 (ISBN 9973221206)

- Fantar M'h. H. , *Kerkouane, une cité punique au Cap Bon*, Tunis, Maison tunisienne de l'édition, 1987
- FANTAR Mh. H., *Kerkouane, cité punique du Cap Bon,* Tunis, vol. I-III, Tunis, 1984-1986.
- FANTAR Mh.H., « Fouilles à Kerkouane », *in BCTHS,* nouvelle série 23 année 1990-1992, Paris, 1994, p. 51-60.
- FANTAR Mh.H., *Kerkouane, une cité punique au pays berbère de Tamzerat,* Tunis, 1998.
- Fantar M'hamed Hassine , *Kerkouane : architecture domestique*, 2 vol., éd. Institut national d'archéologie et d'art, Tunis, 1984-1985
- Grimal P., Les fouilles de Siga, *MEFR*, 54, 1937, p. 108-141.
- Gsell (St.) ,Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord , T.V , :Les Royaumes indigènes organisation Sociale , Politique et Economique , Librairie Hachette , Paris , 1927
- GSELL (S.), Atlas archéologique de l'Algérie, 17, 126, Paris-Alger 1911.
- Gsell (St.), Hérodote, Textes relatifs à l'Histoire de l'Afrique du Nord, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1915
- Gsell S., *Atlas archéologique de l'Algérie*, Alger-Paris 1911.
- HINGLAIS (U.), Deuxième catalogue du Musée archéologique de Constantine, RSAC, 38, 1905.
- Hubert Gallet de Santerre et Latifa Slim, *Recherches sur les nécropoles puniques de Kerkouane*, éd. Institut national d'archéologie et d'art, Tunis, 1983
- Laporte J. P., Siga et l'île de Rachgoun, *L'Africa romana*, 16, 4, 2004 (2006), p. 2531-2597.
- Le Coeur (CH), « Les Mapalia Numides et leur Survivance au Sahara » In Hespéris, T. XXIV (24), 1937, 1 et 2 Trimestre, pp. 29- 45
- MAHJOUBI A., « L'architecture domestique à Kerkouane, et la maison de l'Insula I », *in Africa,* V-VI, 1978, p. 71-94.
- Martinié (J), « A propos de Mapalia », In Hespéris, T.36, 1949, Librairie Larousse, Paris, 3 et 4 Trimestre), p. 449. Matérielles, Ed. Picard, Paris, 1976, p. 98

- MOREL J.-R, « Kerkouane, ville punique du Cap Bon. Remarques archéologiques et historiques », *in MEFR,* 81, 1969, p. 473-518. DOI : 10.3406/mefr.1969.7582
- Rakob (de) F., Bouchenaki M., Les fouilles du mausolée masaesyle de Siga (Béni-Rhénane), *BCTH* 24 B, 1993-95, p.7-24.
- Rakob (de) F., Numidische Königsarchitektur in Nordafrika, in *Die Numider. Reiter und Könige nördlich der Sahara*, Köln 1979, p.119-171.
- RAKOB (F.), « Architecture Royale Numide» dans collection EFR., Actes du colloque international Architecture et Société de l'archaïsme Grec a la fin de la république romaine. Rome, 1983. pp325-339.
- Vuillemot G., Notes sur un lot d'objets découverts à Siga, *BSGAO* 1953, p. 1-9;
- Vuillemot G., Fouille de la nécropole du phare dans I'ile de Rachgoun, *Libyca* 1955, p. 7-76;
- Vuillemot G., Fouilles du Mausolée de Beni-Rhenane en Oranie, *CRAI* 1964, p. 71-95;
- Vuillemot G., Siga et son port fluvial, *Ant Afr* 1971, p. 39-86.